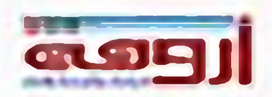
كرم صابر

# رائحة الأنوثة

Smell of Femininity

مجموعة قصصية



# رائحة الأنوثة

## "السر"

## قصص قصيرة

## كرم صابر

مجموعة قصصية : رائحة الأنوثة
المؤلف: كرم صابر

الطبعة الأولى: ٢٠١١

مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر
القاهرة – ش الشيخ معروف من شارع شمبليون – عمارة ج – وسط البلد
تليفون ٠٠٢٠٢٢٥٧٤٣٥٣٤

البريد الإلكترونى:**arweqah@arweqah.com**
arweqah@hotmail.com
الموقع الإلكترونى: www.arweqah.com

رقم الإيداع: ٢٠١١/١٩١٦٨
الترقيم الدولى: **ISBN 978-977-5104-17-5**



كرم صابر: أديب مصرى نشأ فى مدينة الوراق وقت أن كانت قرية يعمل أهلها بالزراعة قبل أن يدمجها الزحف العمرانى بالقاهرة ، وبدأ العمل بالمحاماة عام ١٩٨٩ ؛ نشر العديد من الأعمال السردية منها: المتهم ، وأين الله ، ورائحة الأنوثة ، وعشق الحياة ، وفؤاد المدينة ، وطائر النسيان ، ومريم العذراء ، وكلاب السكك.

طبعة إلكترونية : ٢٠١٥

# لكل النسَاء اللائي خلقهنَّ الله

## "منى "

صدر الحياة المتفجر المنطلق من تحت جلابيتها الكتان يشعرك ببلوغ قمة الأمل حين تباركه بيديك ، تكتشف حلمات ثديها داخل مشدها القماشى البارز بألوانه الفاتحة فيتشبع جسدك برائحة امرأة مكتملة رغم أن عمرها لم يتجاوز السابعة عشر عامًا ، تمسك زلعة المياه بيد واحدة وترفعها على رأسها وتتركها حرة ، وتمشى على الطريق المؤدى لحنفية المياه دون اهتزاز رمش عينيها المملوء ضحك ، لسانها الفالت يناكف كل من تقابله ، الجميع يتنهد ويقول : ما أجمل هذا الصباح .

تلقى بالطرحة على ظهرها ، يظهر نصف شعرها عاريًا ، يتمنى الجميع لمسه ، تتمخطر بالحوارى المؤدية للحقول ، تنادى الكون للاندماج معها لنشر روح جسدها الناضر ، تسلب إرادتك وتعشقها فى صمت وهى تتحدث معك كأفراد أسرتها حين تسألك عن صحة أمك أو سعر البطاطس بأسواق المدينة .

يرى الجميع بكارة جسمها المحاط بهالة أنثوية بارعة ، يدخل معبدها مطأطأ الرأس صامت دون أن يخدش إبداعها الملائكى ، فتنطلق مفاتنها وثدييها الملفوفان ببراعة الخالق ، كأنهما نبت طبيعى للحب وسط مساحة السماء المحيطة بعزبتنا.

ظل أبوها وجدّتها وأمها يعملون ليل نهار فى بيع الخضروات أمام منزلهم المغسول بروحها التى تشع عليهم الأمل والبراءة ، لم تفارقهم الابتسامة والفخر بأنوثتها وهم يبيعون البصل والبطاطس والترمس والفول للأهالى .

حين زارهم الحاج "يوسف" بمنزلهم طالبًا يديها ، حلت السكينة لدقائق لأنه الرجل الذى يملك منزلاً كبيرًا وعشرين جاموسة ويعيش مع أبناءه الثلاثة وزوجاتهن ، ماتت زوجته الحاجة ، ونسى أبناءه فى غمرة تفاقم أسعار الحليب تضحيات العجوز ، صمت أبوها فسكت الكون حولهم ، سمعوا دبيب النمل وهمس العصافير .

خرجت "منى" من الحجرة قبل أن ينطق أحد وقالت : يا عم الحاج أنت زى أبوى وأنا مقرية فاتحتى على "أحمد" ابن "أم ثناء" العربجى .

قال الحاج بثقة أمام أبوها وأمها وجدتها المذهولين : الفاتحة مفتوحة يا "منى" .

ردت بنفس الثقة : دى عند الناس اللى معندهش أصل وأنت متردداش أن الناس تقول على أبوى خسيس وباع بنته .

بكى الحاج "يوسف" وقال : يا بنتى أنا كبرت ومحدش بيسأل على صحتى ، عندى أملاك كثيرة لكن آخر الليل بحس بالقهر هيموتنى .

تدخل أبوها وقال بصوت قوى : "خش يا "منى" أعملى لجدك الحاج العشا".

منذ هذا العشاء والحاج يواظب على زيارة بيتهم فى كل الأوقات كجد مكتفيًا بالونس الذى يملأ منزلها ، الشىء المذهل أنه لم يترك ليلة واحدة حتى مات دون زيارتهم ، تفرش جدتها الحصيرة أمام البيت وتوقد ركية النار لتسخن الخبز وتقطع البصل وتغسل الكرات والجرجير ، يتعشوا ويشربون الشاى والقهوة التى كان يحضرها الحاج من البندر ، يتسامرون على أيام زمان وكرامات أولياء الله ، يحكون بحب أذهل الأميرة لتنام بأمان كل ليلة على حكايات العشق والخلود .

تزوجت فى ليلة مقمرة بـ "أحمد" العربجى ، يومها طلبت من المأذون أن يجعل جدها الحاج "يوسف" وكيلاً لها ، قبل أبوها برضا ، احتضنها الجميع وهى طائرة على حصان عريسها كأنها حورية سماء بلدتنا.

## "بنات عويس"

يا ربى من أبدع هؤلاء العصافير التى تجرى أمامى على شاطئ الترعة ، تخطف العصافير من بعضها الزهور وينطلقون وراء بعضهم البعض خلف والدهم "عويس" الذى يعلم أنه أسعد خلق الله لرزقه بخلفة البنات ، يطيرون وراءه وحوله على شاطئ الترعة يختالون ببهجتهن ومفاتن أجسادهن المبدعة التى دغدغت مشاعر الفلاحين وأطمئنوا على بركة يومهم لأن البهجة كللت قلوبهم بأرواح العصافير .

باع "عويس" القيراطين الحيلة اللذان ورثهم عن أبوه واشترى ماكينة المياه لرى أراضى الفلاحين بمواسم الجفاف وزرع حقول الأفندية الذين لا يملكون مواشى أو يعيشون بالبندر ، الأفندية الذين لا يذهبون للحقول إلا ساعة الزرع والحصاد ... تمنو جميعًا اقتناء العصافير.

كانت أكبرهم "تهانى" البالغة ستة عشر عامًا ، ترفع الفأس على كتفها وتسير أمام والدها مفتخرة برقتها ، تمسك "أحلام" الوسطى المفك وتربط مسامير طرد المياه بقوة أذهلت الشباب ، تلاطف الجميع وهى تهز إردافها ، الجميع يعلم أن "عويس" أدخلها المدرسة لتتعلم القراءة ، فاقت الكبار فى الحسابات ، دائمًا تذكر الجميع بالأحداث والتواريخ الفاصلة فى حياة القرية ، بينما خلبت "رقية" عيون الفتيان رغم أنها لم تتجاوز الثلاثة عشر عامًا ، جرأتها كانت علامة على بلوغ قريتنا المجد .

تأتى "سعدية" أمهم بالبيض والبطاطس المسلوقة بعد خروج المياه من باطن الأرض لرى الحقول ، يغسل الجميع أيديهم ويتناولوا فطورها .

أى بهجة أطلقتها علينا هذه العائلة الصغيرة فجعلت يوم مقابلتهم عيد، لم يتنازل أبوهم عن وعده بتزويجهم فى ليلة واحدة تتحاكى بها القرية والقرى المجاورة ، أختار "عويس" بنفسه للعصافير الثلاثة أفندية يعملون بالوظائف الحكومية ويحصلون على مرتب دائم ويمتلكون شقق مستقلة ليعيشوا مع بناته بعيدًا عن بيت العائلة .

فرحت النساء بالعصافير الثلاثة اللآتى سيتزوجن ليلة المولد ، أحيت ليلتهم المنشدة "خضرة " ، شارك الكل بالرقص والغناء الذى ظل طوال أسبوع المولد أمام منزلهن ، فى الليلة الكبيرة تزين الجميع ابتهاجًا بمولد الشيخ المبارك وفرح العصافير .

لم يتركهم الناس إلا حين أذن الفجر ، لم يعترض والد العرسان الثلاثة ، الجميع كان يتدفأ بالعشق الملقى من السماء على قرية تعتز ببهجة ببناتها فى ليلة زواجهن ، سارو وراء النور الذى ملأ الحوارى والشوارع وأحاط بضريح الشيخ المبارك .

لن ننسى أبدًا الزفة التى سارت حتى منزل كل واحدة منهن ، رقص أطفال ونساء وشيوخ البلدة فرحًا وطربًا ، قيل أن الشيخ صاحب الكرامات خرج مع الناس بوجهه المنير وجلبابه الأبيض لأن الجميع شاهد طلعته البهية وهو يتقدم الزفة .

تراقص "لبيب" الأزعة بعصاته الغليظة ، فوجئ بنفسه يطير حول القرية ممزوجًا بعشق البنات ، بحلق أهل القرية للسماء ، شاهدوا بأنفسهم "الأزعة" يرفع عصاته طائرًا حولهم ، لم نعد نسمع إلا تغريد الطيور حولنا .

نظرت الشيخة "خضرة" المبتهجة بأناشيد الحب للسماء المنيرة ، تركت سماعة الميكرفون مندهشة من قدرة شيخ الضريح فى ليلته الكبيرة على رفع قرية بأكملها من على سطح الأرض لتطير فى السماء ابتهاجًا بزواج العصافير .

## "بطة"

أرعبتنى قوتها وتساءلت بينى وبين نفسى : كيف يمكنها أن تعيش كل هذا العمر بهذه اليقظة الدائمة؟! أخذتها لممر الحب على شاطئ النيل بشقتى الصغيرة ، أحاول فك قيودها وسألتها بدهشة : ألا يمكن أن تتحررى من ملابسك ؟!

ضحكت عن آخرها وقالت : يا عم يا طيب أنا أوفى بعهدى للأهل والصحاب الذين أعطونى ثقتهم ولا أفك ضفائر شعرى لأحد .

قلت : لن يضيرهم شيء ، أنتِ وحيدة ولا تفكرين إلا بهم ، هذا ظلم لكي ، ضفائر شعرك وهى تتطاير على أكتافك العارية وأنا بحضنك لن تؤذى أحد ، بهجتك ستخلب العاشقين خلف شباكنا المطل على مياه النيل لأنك ستشعين نورًا يخلب قلوبهم ويدفعهم للأمل .

اندهشت وقالت: نسيت أنى امرأة .

تحسست نهديها برقة وهمست : هذا صدر بض لأنثى كاملة ، يحتاج رجل محب ليصيغ من حلماته قبلة للعاشقين .

حاولت أحتضانها، خفرجت من بين يدى وقالت : أنت أتجننت ، لا يمكن أن أفك قيودى لأحد؟ أن أهلى بالبلد تركونى هنا ووضعوا سمعتهم فى رقبتى كأمانة ، أصدقائى قالوا : أن الحب هو أن تعطى كل دقيقة ونقطة دم من عمرك فى بحر الأمانى .

قلت : يا "بطة" أنت ملاك ، اتركينى لأتشبع برائحة ابطيكي ، وأدلك فخذيكي بعشقى .

اقتربت من فرجها لأحضنه وأضع شفتيه بفمى لينتج أجمل العطور .

قالت : لا يمكن ، فهل لبنت مثلى خرجت من قريتها لتستكمل تعليمها وتعود ناجحة لتشرف أهلها أن تخلع ملابسها وتعرى نفسها لرجل يدفئ لحمها ، أنت أتجننت!

أمام ترددها الذى لم يطل كانت رائحة الزمن الغادر قد فارقتها ولم تعد حتى كذكرى .

تركت جسدها يتفكك ، خرجت روح المرأة التى ظلت ثلاثين عامًا تخفيها لتهرس قلبى ، ولم تتركنى إلا حين أمنت بأنها سيدة نساء العالمين .

## "القديسة "

مرت حياتها كطرق متلاصقة بلا نهاية مليئة بالأشواك ، تتلاشئ كل يوم بأقدامها بحور الأذى وتعالج جروحها بصبر ، جرحت كثيرًا بداية من أمها التى كادت أن تفنى روحها فى صوانى المطبخ وهى تلف شعرها المنكوش بتوكة عجيبة الألوان لتدلل على أنها امرأة ، انتهاء برجال أفزعهم رائحة عرقها ، قال لها يوم قابلها أول مرة : حملك ثقيل ومرضك مزمن .

لكن القديسة أصرت على المرور بطرق الشوك والانتصار ، تحملت العيون القاسية حتى تمكنت من الحصول على استقلالها كاملاً وخرجت دون عودة ، ولم يجرؤ أحد فى هذا الوقت أن يسألها عن اهتماماتها أو لون ملابسها .

أنهت شهادتها الجامعية وقررت السفر لاستكمال دراستها ، تحدت الموت وهاجرت دون الحصول على أية ضمانات بعودتها فاشلة ، "لن يكون لها مكان آخر إذا عادت دون بلوغ الأمل" ، هكذا قال أبوها وهى تحمل حقائبها صامتة متجهة للمجهول.

رحلت القديسة من منزل الأسرة دون النظر فى عيون أخواتها ، فى المدن البعيدة كتبت يومياتها لتبرهن على أنها لازالت هنا ولإعلام الجميع أن خروجها من تحت سماء هذه البلاد لا يعنى أنها نست النبى الذى عذبها وأصر على مغادرتها رغم احتياج نهديها الطيبان لأحضانه ، تحسست جفاف قلبه وتأملته وحيدة حين قال بقسوة : لن أستطيع .

عندما رفض معاشرتها وشم رائحة احتياجها قالت : أنت تحتاج كل ذرة حنية فى هذا العالم ، سوف أخفف عنك العبء أيها النبى .

لكن غباءه جعله يرفض عيونها الحنونة وقال : لا يمكن نسيان رائحة الأنوثة التى ملأتنى بها امرأة أخرى ... لن أستطيع .

أحست بروحه وسمعت دقات قلبه وقالت لنبضه : نام على كتفى ، أنا طبيبتك ، لا تخف ، سأداوى جراحك ، لكنه رفض كل هذا الود وقرر طردها وفقد عطر أمرأة متمردة لم يشم رائحتها إلا هو .

غادرت القديسة وتركت كل ما يذكرها بأهلها ونبيها وعاشت سنينًا تحت سماء أخرى ، لكن عنادها وجبروتها جعلها تخطط لإكتساح قلبه فى يومًا ما ، عجنت سنينًا طعام العشاق بكل

روائح الحب ، جربت كل أنواع العطور وهى متأكدة بأنها سوف تكتشف سر رائحة النبى الغادر .

تطبخ كل ليلة أنواع مختلفة من الطعام ، خلطت الخضر بالفاكهة بملمس يديها وروحها وهى واثقة رغم بعد المسافات والزمن بأنه يأكل معها وينام مرتاح البال فى حضنها ، لم تترك ليلة واحدة دون أن تطهو طعامه وتتذوقه وهى متأكدة أنه يتناوله معها بتلذذ وشوق.

فى يوم لم يكن على بالها فوجئت بحبيبها بشقتها فى البلاد البعيدة يطلب تذوق طعامها الذى لم يستطيع نسيان رائحته ، كانت تعلم أنها نجحت ، نظرت إليه بثقة وقالت بسحر : أدخل أيها النبى .. أدخل لأشفى جوعك .

## "نادية "

وسط الزراعات المنتشرة على جانبى الترعة تمشى مع رفيقها فى تلاحم مع الطيور دون أن تخشى سطوة الظلام ، ينبهر الناس من قوة فتاة تحدت كل القيود وشمت نسيم العصارى بحرية دون أن تهاب عيون الشامتين ، كانت تعلم أن قلبها المملوء عشق أقوى من شرهم.

ترمش بعينها للحياة ، فتتفتح ملايين الزهور ، وتتطهر مياه الترع والحقول من الخوف ، وينبهر الفلاحين من روحها المنتشرة بروعة فى السماء .

تلبس الجلباب الأسود الضيق وتسي على شواطئ القنوات التى تشق الأراضى بشعرها الناعم ووجهها الضاحك فتذهل الجميع ، ويفتحون أفواههم وعيونهم أملاً فى الدفئ المتطاير من قلبها .

يتأبط "هانى" ذراعها بالرغم أنه لازال طالبًا وينتظره المستقبل رافضًا حديث أهله عن جدوى الحب و قرر أعلان خطوبتها وسط ذهول الجميع ، لم يتمكن أحد رغم معارضة ارتباطهما أن يمنع مرورهما ساعة العصارى متأبطين أيادى بعضهما دون أن تهتز نبرة صوتهما المملوءة بالحبّ ، يلاطفان الأشجار كأنهما الحمام ، ويبهران الجميع ببرائتهما .

تؤكد "نادية" للرجال الذين يقابلوهم بأنها إبنتهم الجميلة فتقول : خالتى "أم محمد" عاملة أية يا خال!! وتقول لآخر : بنتك "سنية" كويسة يا عمى !! لا تتوانى عن إعلان قوتها وسط حجرات عقولهم المظلمة ، كانت مصرة على إنارة تلك الظلمة رغم اعتراض الجميع .

فوجئنا فى يوم غير عادى بإعلان مقتل "هانى" وسط الزراعات ، حضنه "فريد" المنجد حين وجد جثته بحوض البرسيم والدماء تسيل من فمه ، وقال : لا يمكن أن يموت الفتى الذى خلب عقل الأميرة .

خرجت القرية على صراخ "نادية" لتدفن جثة حبيبها المقتول بغدر ، لكن ضابط النقطة وحده كان يعرف القاتل لأنه خطط مع أنصار الظلام لرغبتهم بإطفاء نور "نادية" التى رفضت أن تجلس بالبيت دون وداعه ، خرجت بعبايتها السوداء وشعرها المفرود إلى منزل أهل خطيبها وصرخت بأعلى صوتها : يا "هانى" روحت فين يا حبيبى ؟

احتضنتها أم "هانى" وقالت: ربنا يعوض عليكى يا ضناى .

لم يهتم الناس بمقتل "هانى" بقدر ما اهتموا بقوة فتاة تصرخ فى الظلام ، ظلت تصرخ حول بيت حبيبها لمدة أسبوع وتزور أمه وأخواته كل يوم ، تدخل حجرته صامتة باحثة عن .

أصرت دون أن يفهم أحد أن تأخذ ملابسه وكتبه لتنام بجواره وهو يذاكر دروسه ، لم يقل والد "هانى": أنتى لست زوجته كى ترثيه!! بل جمع وبمساعدة أبناءه كل ما يخص "هانى" ووضعه فى صندوق وأغلقه بهدوء مودعًا ابنه ، رفعته أم الفقيد على رأسها حتى وصلت لحجرتها فى بيت أبيها الذى اندهش لاعتقاده بأن جثة "هانى" بالصندوق ، ولولا أن الأم فتحته أمامه لكان قد بلغ السلطات عن جثة أخرى للمقتول .

فى اليوم السابع لمقتل "هانى" رفعت الصندوق وسارت وسط الحوارى والحقول تغنى ، أذهلت خطواتها الشوارع وهى تحمل روحه وترحل من قريتنا للابد .

## "إيمان"

بنت صغيرة ، لم يتعد عمرها العشرين ، جسمها نحيل رغم أنها تأكل بشراهة ، لكن أنفها وشفتيها الممتلئان يدلون على امتلاء قلبها بالعشق.

عملت منذ حصولها على الدبلوم فى محلات لبيع أدوات التجميل ، كوافيرات ، مكتبات ، صالات كمبيوتر ، صيدليات ، سنترالات ، فى كل مكان عملت به لم تبخل على صاحب المحل بتفريغ كنوز الدهشة والحبّ من عيونها ، جعلتهم يحلمون بالنوم فى حضنها بعد غلق المحل .

تتأوه مغمضة العينين ، تحفز مرافقها بقوة فيخر مؤمنًا بأنوثتها ، أذهلت من تجرأ ومس قلبها مرة واحدة ، رائحتها كانت كفيلة بتخدير الملهمين فى العشق ليظلوا يحومون حولها لينالوا رضاها .

رغم كل ذلك لم تكشف لأحد عن فرجها ، كانت تقوم بعمل كل شىء لإنعاش النشوة ، اللحس ، المص ، الدعك ، تعرى نفسها باستثناء فرجها التى عرفت كيف تصونه ، كانت تفرك الرجال ليقذفوا عشرات المرات دون أن يتمكنوا من زحزحة يديها من على فرجها .

حين عملت فى النهاية بعيادة دكتور رقيق كسكرتارية أحست أنها حصلت على وليفها ، لم يستغرق بيديها عدة أيام حتى كان أسير رائحتها ، يغلق عيادته ويظل بأحضانها تعلمه فنون الحب وتدربه بطرق مختلفة على إبداع العشق .

يقوم خطيبها بتوصيلها لمنزلها بعد انتهاء عملها ، ورغم ذلك لم يشك أبدًا فى براءتها ، كانت تعلم أن أيامها المعدودة مع الدكتور هى التى تعطيها رحيق الحياة لتستمر بنشوتها حرة .

فى اليوم الذى قررت فيه وهب نفسها للدكتور أغلقت باب العيادة بنفسها ودخلت عليه مرتدية قميص نوم كان خطيبها أهداه لها بعد أن افتتن بجماله دون أن يدرى لمن سترتديه ، هكذا قال لها وهو يذوب عشقًا فى عينيها يوم زارها بمنزل والدها ، كان يضعه بكيس أبيض ، كان لونه الأحمر ، اقتربت من الفارس لتدفئ قلبه وقالت : إية رأيك فى لون القميص؟

لم ينطق أمام اندهاشه بملاك الحبّ الذى نزل فجأة من السماء ، قالت بهدوء : اليوم ستقوم بأهم عمل فى حياتك .

أخلعته ملابسه ، تحسست جسده ، وقف مأخوذ بعشق لم يتصوره أبدًا مفتتنًا بنعومة بجسدها ، تسحبت فى غفلة حاضنة نصفه الأسفل ، وجد يديه تحتضن شعرها الناعم ، وضعت قضيبه بين نهديها حتى إمتلأ عن آخرة ، مست شفتيه بفمها وقالت : أدخله كله فى بحورى.. أدخله ولا تهتم بصراخى ، وضعته بيديها بفتحتها ، دخل ملتهبًا فى عمق أنوثتها ليفجر غشاء بكارتها ، كانت تصرخ وتتأوه دون سبب وهى تحضنه وتقول : كمان مرة .. دوس أوى .. دوس كمان .

ظل هذا الوضع كثيرًا دون أن تدرى عمر الزمان ، كانت ترمى أمانها كله فى قلب هذا الرجل الذى آمنت به رغم أنها ستتزوج بآخر بعد شهرين ، لكنها وجدته يستحق أن يكون أول زائر لجنتها .

تعلم أن زوجته وأولاده لا يستغنون عنه أبدًا ، لكنها ارتضت بهذه الساعات أن تشبعه برحيق ظلت آملة بصبه فى قلب أول رجل يستحقه .

بعد شهور تزوجت من خطيبها وانتقلت بعيدًا عن الحىّ ، لكنها لم تنس أبدًا الرجل الذى أمنت به وأعطته برائتها دون رجال الدنيا ، مرت الأيام والسنون وهى على حالها تعشق من تقابله وتلقى برائحتها ورقتها فى قلوب الحيارى ، أنجبت بنتًا كالقمر لكنها لم تستغن عن عادتها فى ضخ العبير بالشوارع خاصة بعد سفر زوجها للبلاد البعيدة ، يزورها كل سنة ليعاشرها كزوجة محرومة من حنان الأب ويستمتع ببنته باقى الوقت ، لكن العاشقة لن تنس أبدًا حبيبها .

تعيش وحيدة مع طفلتها ، لكنها تعلم أن تحت هذه السماء يوجد رجل لا يمكن أن ينسى بهجتها التى تركتها عنده لإيمانه بحسها ، وانه لا يمكن أن يتأخر عنها إذا طلبته ، حين قامت الدنيا وقعدت فى أحياء البلاد وسيطر البلطجية على الشوارع وزمام الأمور عدة أيام مدعومين برجال أدعوا حفظ الأمن اتصلت به ليحميها ويوفر لها الأمان ، كانت تقول لنفسها : سيترك العيادة لأنام فيها حتى تمر هذه الأيام ويعود الأشرار للسجون.. سوف استمتع معه طوال هذه الليالى بعيدًا عن عيون المجرمين .

رفعت سماعة التليفون واتصلت برقمه ، ردت عليها من الطرف الآخر امرأة بجحود وقالت : الدكتور "سيف" مات يا هانم .

## "شوق"

شفت المرضى بنظرات العيون دون حصولها على الدكتوراه ، استطاعت أن تتفوق على القلب وتسابق خفقانه وتنفرد على نساء العالمين بتفجير أرواحنا فى سحرها ، أخذت مكاناً تحت السماء كامرأة يتشوق الجميع لرائحتها.

قالت فى تحدى لنفسها : يستحق نهدى الحضن الدافئ ، بحثت فى عيون كل المارة دون جدوى ، حاولت منذ كانت طالبة إعادة مدرسيها إلى عقولهم ليتشمموا روحها فاشتهوها دون أن تشعر بالرحيق ، تشاجر الشباب من أجلها ، قتل أحد عشاقها بسنجة أحد المؤخوذين بعطرها لخدشه حياءها والنظر إليها بشبق.

ماذا أضافت "شوق" لقائمة النساء التى أبدعت الأنوثة فتركت علامة تدلل على القدرة الغريبة لامرأة ترغب فى العشق؟ أضاءت حجرتها بوهج ملائكى جعل أبوها يترك البيت ويطلق أمها ، ومع ذلك ظلت تقدم لجيرانها وهج الأنوثة الذى إذا صادفك يومًا يحرقك .

دللت بخطواتها فى الحوارى بقدرة امرأة حرة تبحث عن فارس يعيد القيد لرقبتها ، رغم كل المحاولات عجز مئات الرجال عن اللحاق بها ، اضطروا إلى ارتكاب جرائم ليبرهنوا لأنفسهم بأن "شوق" غدرت بهم ، لكن الدكتورة التى لم تحصل على الشهادة الجامعية أكدت بأن العيون أكثر تأثيراً من كل الكيمياء التى صنعه العلماء بمعاملهم .

أين يكمن معملها ، كيف تخلط عيونها بعيون الناس فتذهلهم بصوتها ورائحتها ويتوهون فى بهجتها شهوراً ويهربون فى النهاية خوفاً من ضعفهم ؟!

حين قابلت هذا الفتى المتحدى لشعاع عيونها و أطلقت عليه رائحتها الخارقة ، هرب من تشمم رحيقها الذى يفقد من يحسه الذاكرة ، قالت لنفسها: يا ملكة العصور ما الذى أوقعك فى بحوره ، ما الذى أفجعك فدخلتى غير عابئة لقلبه وأذهلتك طيبته فخرجتى خائفة من نوره الباهر؟ ما الذى أضعفك يا أميرة النساء لتطلبى منه أن تجلسى معه ولو ثوانى وسط شعاع عيونه فيرفض غير عابئ بشوقك .

أصرت العنيدة على اختراق الموج والوصول للشاطئ الآخر غير عابئة ببرد الليالى ولا عيون الكسالى ، امتطت جوادها وطارت تبحث عن السر الذى يعيد الفتى الطيب إلى رحاب جنتها .

حاولت إعادة خلطة الرائحة التى دفعتها للإحساس به ، لكنها أبدًا لم تعثر على زهرته المفضلة ، قررت فى تحدى وهب حياتها لقلبه الطيب لتكتشف علاجًا لظمئه ، لكن الفتى ظل على حاله وتمرده على الزهرة الملتاعة ، انفجرت أمامه على شاطئ النهر وهو يقف يلاطف الطيور ، انصهرت رائحتها على الأرض ، زلزلت تحت أقدامه ، حاول أن يجمع الرحيق المتدفق من بحور هيامها ، دخل بروحه فتدفأ بعطرها ، وقرر أستكمال العمر معها ، وقتها أيقنت بثقة ، بأنها المرأة المبدعة لسر الحياة .

## "رائحة الأنوثة"

هذه الرائحة التى تحيط بى من كل اتجاه أعرفها جيداً ، تأتينى دائمًا فى النوم واليقظة ، أتدفأ بعينيها وهى تشع نوراً فى أركان قلبى وترقص حينًا وتغنى أحيانًا وتتدلل ، وتلقى بزهورها فى طريقى ، اشتاق لملمس يديها وحنان نهديها ، تنام بجوارى ، تتاكفنى وتندهش منى وتخاف علىّ وتعتقد أنى أقوى المخلوقات.

شىء غريب أن يحيطك كل هذا الجمال والمتعة وترغب فى فقده ، تحاول جاهدًا الخروج من محيطه ، لتثبت لنفسك أنك أقوى من البكارة ، فتتركها دون وداع ، مع ذلك لا تفارقك ضحكتها الساخرة .

قابلتها منذ سنين طويلة صدفة ، تمكنت من قلبى وجعلتنى أسير تلك الرائحة التى تفوح منها كلما نظرت بعينى ، لم أتمكن خلال هذه الفترة الطويلة من النجاة وغرقت لرقبتى فى سحر عبيرها ، قالت فى اليوم الأول حين قابلتنى : أنت المراد .

قلت : متزوج وعندى أطفال .

قالت : أنت الأمل .

ذابت فى كفى وعينى ، انتشرت ببراعة في دمائى ، وصلت حتى قاع القلب ، أحسست باقدامها تقيم فى كل ركن بالبيت والشارع والعمل ، حاولت سنين طويلة فى تحدى أن أخرجها من قلبى لأننى لم أكن احتمل رائحتها ، كنت أطاردها أيامًا كثيرة وأسابيع لأطهر قلبى من عشقها ، لكنها تتحول ببراعة لنور وتطير فوقى عارية وتقول : أنت حبيبى والمراد ، لا يمكن أن تفقدنى أو تستغنى عنى لأننى أقيم فى تكوينك.

أتغرب بعيدًا أصارع الحجر فى الجبال وأحطم الموج فى المحيطات ، لكننى أبدًا لم أستطع تطهير نفسى من رائحتها ، أغرق الرحيق قلبى وأصبح ينعش كل حواسى .

كيف استطاعت ببراعة أن تلقى بأطنان الحب على قلبى القاسى فتجعله يلين ويصبح طيب وراضى بالمقسوم؟ كيف سهتنى ودخلت لنن عينى لدرجة أننى لم أرَ فى حياتى إلا شعاع عيونها المتطاير ورائحة عرقها ، خلبت عقلى وأصبحت رحيق كل النساء التى تنظر فى عيونى .

لم أنس أبدًا اليوم الذى أخذتنى بجزيرة رائعة مزروعة بالورود ويلف النهر حولنا أشجار الساسبان والصفصاف البلدى والجميز المعمر ، وترفرف علينا الطيور وتمرح الكائنات من حولنا ، أخلعتنى ملابسى وفرشت ورق الورد تحتى ونامت معى ، دفأت قلبى آلاف المرات حتى تحولت الجزيرة بكل مكوناتها لامرأة امتلئت بالنور.

حين جاء من بعيد مركب يعج بالبهجة ، فوجئت بها توقظنى ، ألبستنى بدلتى الكاملة وارتدت فستان عرسها وقالت : إصح يا حبيبى ، الناس كلها أتت لتحتفل بزواجنا ، حط القبطان على الجزيرة ، تأبطت يدى وطارت بى نحو المركب .

توسطنا الأهل والأصدقاء الذين غنوا للعروسين أجمل الألحان ، تلفح الجميع بعبير الورد ، كأن الدنيا لا يوجد بها إلا رائحتها الخارقة.

عشنا سنين كثيرة وهى تخلق منى كل يوم رجل مختلف ، دارت بروحى فى المدن والقرى وعاشت بجواري كامرأة رائعة تتفنن فى صنع الخبز ذو الرائحة المذهلة التى لو ذقنه مرة واحدة لن تستطيع أن تستغنى عنه أبدًا ، أشبعتنى بأرغفة كثيرة وهربت وتركت رائحتها لأغرق فيها .

## "صفية"

لم يجرؤ أى رجل أن ينظر فى عيونها إلا واحترم أنوثتها ، واصلت إظهارها دون أن تهتم بعيون اللصوص الذين ينظرون إليها من خلف النظارات والشبابيك ، لم تتوان أبدًا فى قول الحقيقة وسط الشارع دون أن تهاب شنبات الرجال ، حين ضرب الفكهانى زوجته "حسنية" بالكف على وجهها أمسكت الشبشب وضربته على رأسه حتى ألتم الشارع وفك أسره ، فقالت بصوت عالى : عايزاك تفتح بقوك يا واطى ، هتعمل راجل على الولية الغلبانة يا وسخ .

ماذا كانت تفعل أبلة "صفية" داخل بيتها الصغير؟ وكيف كانت علاقتها بعمى "حسن" زوجها الطيب الذى كان يركب التروسيكل ويوزع سجائر الشركة الشرقية للدخان على الدكاكين؟ ظل يسخر من الجميع كل صباح وكأنه يقول : أنا أسعد واحد فيكم .. أنا أرجل واحد فيكم ، ماذا كانت تضع "صفية" فى طعامها لتعبق رائحته الشهية الحارة؟ شربت "نوسة" ابنتها الطبخة وتعلمت القوة والبهجة ، كانت ملابسها القصيرة وإيشاربها الأحمر فوق شعرها يدلل على امتداد سلسل الحب فى عائلة أبلة "صفية" .

حين رحلت "نوسة" مع زوجها العطار خلبت رائحتها المبهجة الجميع ، أصرت على أن يأتى بأهله جميعًا لزفافها ، لم تخرج من بيت أمها إلا بعد عودة أبيها من صلاة العشاء ، تأبطت يديه وسارت وسط الحارة تدلل للجميع على أن العم "حسن" يستحق الثناء ، جعلته "نوسة" يرفع رأسه عاليًا وهو يضع يديه فى يد العطار صاحب العمارات والأراضى .

حين ضرب "حمو" و"سمير" الحلاق بعضهم بالسكاكين عصر يوم ممطر ولم يتمكن جمع الرجال المجتمعين من فك اشتباكهم ، نزلت بجلبابها الأسود وشعرها المحلول وصرخت فتوقفوا لتدلل على جبروت امرأة تأمر فتطاع ، لازلت أتذكر صوتها وهى تقول : كفاياك يا "حمو" بدل الفتونة الكذابة أطلع شفلك رغيفين تعشى بهم أمك الغلبانة ، نظرت لـ "سمير" فأرعبته وقالت : لو مش هتبطل تبص للرايحة والجاية نهايتك هتبقى على أيدى يا وسخ.

لم تسمح لهم بالعتاب فحين قال "سمير" : يا عمة هو اللى بدأ ، بصقت فى وجههما وقالت بعلو الصوت : لم يبق عندى إلا الشبشب ، أتلم يا خول أنت وهو .

يوم جر "رشاد" المخبر "محمودة" الخضرية من شعرها بوسط الشارع لأنها رفضت إعطاءه الإتاوة وقالت بقوة المقهورين : إن فرشتى بشارع ربنا ولن تأخذ كل يوم رزقى .

قطعت "صفية" طريقه وقالت : أتركها حتى لا أقلع عينيك .

رفعت أصابعها الاثنين فى وجهه ، ولولا هروبه ، لكان المخبر يمشى الآن أعمى القلب والبصيرة ، صرخ فيها متوعدًا بعد أن خطى عدة خطوات وقال : أنت بتقاومى السلطات يا "صفية" ، حسابك بعدين .

رفعت شبشبها وقالت بصوت أفزع الحارة وهى تشير بين أوراكها: أنت والسلطات يا روح أمك .

هرب الغدر وانتشرت المودة بعد ما قامت بوضع الخضار على الأقفاص وغسلت لـ "محمودة" وجهها وحضنتها وقالت فى تحد : لا تخافى إلا من خالقك ، هو الوحيد الذى يستطيع أن يأخذ الروح .

عادت لشقتها لتنتهى من إعداد طبق البصارة لعمى "حسن" والذى كان يأكله وينام حتى العصر ثم يخرج من منزلها ليصلى المغرب والعشاء بالجامع ويتجه للمقهى يشرب الشاى والمعسل ويعود ليعيش أجمل الليالى مع امرأة لم تتوان لحظة واحدة من إطلاق القوة فى حوارينا.

## "رسمية"

حبيبتى التى حرمت من طلعتها بالحارة ، كانت تلبس الجلباب الأسمر الواسع المدكوك حول ثدييها ليظهرهما بفخر وسط الحارة وقمطة رأسها الصفراء ووجهها الأبيض الممتلئ النضر كفيل بحياء الرجال لتدلل بعزة على أنها الطف الكائنات.

من أين استمدت "رسمية" هالتها البهية؟ لم أكن أعرف بالضبط ما حدث ، لكنهم قالوا أنها طلقت بعد سنة من زواجها بعد تأكد زوجها من استحالة إنجابها ، رمى يمين الطلاق عليها كأنها فردة جزمة ، خلعها للأبد ليمشى طوال العمر حافيًا ، استحق أن يطلق عليه الرجال هذا اللقب بعد إصابته بالصرع جراء فقده لحضنها ، لم تفهم "رسمية" ماذا حدث وهى التى لم يتعد عمرها العشرين ، خرجت من منزله وهى تحس بالإهانة ، قالت لنفسها : أن الرجال فرد جزم قديمة ، لن أحتاجهم فى حياتى أبدًا .

حرموها الحبّ والمعاشرة والنوم على السرير متدفئة بنعمة الحنان التى كرم به الله الإنسان ، اعتقدوا أنهم سلبوها دفء العائلة وشبق المعاشرة ، لكن طلعتها البهية والسعادة التى تنطلق مع صوتها المرتفع وسخريتها من الجميع وسبهم المتكرر ، دللت على أنها تجاوزت مشاعرنا إلى عالم آخر مملوء عشق تغرق فيه وحدها ببيت أمها .

أمها وحيدة ايضاً بعد موت زوجها واستيلاء أخواته على كل ما يملك فأصبحت هى و"رسمية" بدون دخل لشراء رغيف خبز واحد ، فى اليوم التالى لطلاقها خرجت دون أن تدرى لحقول الفلاحين ، نظر الجميع إليها مبهورًا ، لم تتردد حين قال لها الحاج "مكاوى" : "على فين يا بت يا رسمية؟"

فردت بقوة : بتمشى شوية يا با الحاج .

قال بحنان : تعال يا بت خلعى قيراطين الذرة ورزقى ورزقك على الله .

تحزمت كالرجال ، دخلت الحقل ، مقررة الانتهاء من حصاد قيراطين الذرة قبل المغرب .

أذهلت الحاج وجيرانه حين جمعت من القيراطين خمسة أرادب ذرة ، طلبها الجميع لتساعدهم فى الحصاد لنيل بركاتها ، رفضوا تشغيل الرجال فى وجودها ، حين دخلت على أمها بقفة الذرة مملوءة بالخيرات علمت الأم أن الرب عوضها عن الزوج والولد .

بعد خروج "رسمية" للعمل فى اليوم التالى ، قامت الام العاجزة من السرير متعافية ، أمسكت المقشة وكنست المنزل والحارة ، رشت المياه بعد خلطها بالحلبة والنعناع ، تحولت رائحة الحارة لعبير الجنة ، من يومها ونحن ننتظر طلعة "رسمية" التى تعيد لكل المحرومين فى الحارة والحقول الحياة .

تسب من يشتكى لها حزنًا أو كرهًا أو خوفًا ، وتقول : إتوكس على أمك وأية يعنى اللى بتحكيه ، دى بلوى يا خايب ، تف على الدنيا ، متستهلش كل القرف اللى أنت بتقولوه!

يبتهج الشاكى وكأنها أنزلت عليه رحمة السماء ، تنظر بحنان فى عينيه تلامس جسده بأطراف أصابعها فيهرب الخوف من قلبه للأبد .

كان الجميع ينتظرها لتشتمه أو تضع كفيها على رأسه لتقويه ويرمى بحمولة الهموم على الأرض ، ظلت طلعتها أمل الحالمين بنظرة وقوة امرأة استعصت على الفهم .

فى يوم غير معلوم تركت الحارة وتزوجت بامرأة طيبة فى مدينة غريبة ، واكتشفت مثل باقى البشر كل الحيل للمرور من خرم الإبرة والعودة لمنزلى وسط أولادى برزقهم أمنًا ، إلا أننى كلما عدت للحارة أجدها تجلس أمام المنزل بجوار أمها العاجزة تبيع الجزم والشباشيب لتحمى أقدام النساء والرجال من القشف ، لازال وجهها يمتلئ عشقًا ويضج بالبكارة والحياة رغم مرور الزمن ، اقترب منها أذكرها بنفسى ، تصرخ ضاحكة وتقول : قرب يا وسخ يا بن الكلب ، قرب اكشف عليك واطمئن على رجولتك ، انحنيت يا واد وبقيت عامل زى التينة الواطية ، إخس عليك راجل ، وذنبها أية الغلبانة اللى حابسها فى البيت تربيلك العيال.

## "تبع الحياة "

تعرفنى النِّساء المختلفة بشهامتى ، فأنا الرجل الذى يمتهن المعاشرة دون السؤال عن الثمن ، فتحت مكتبى بالحقّ للدفاع عن الأهل المتنازعين أو الذين تقبض عليهم السلطات ، امتلأت عشقاً لرائحة زبائنى التى تخرج من المحلات والمقاهى ومداخل البيوت ، ذابت روحى مع رائحة الطعام التى تخرج من مناور البيوت التى دخلتها ، تشممت بخفة فى الحمامات التى دخلت شققها رائحة مشدات الصدر وقمصان النوم ، تلذذت بملمس وشم عرق النساء المبدعات فى الرضا .

لم أكن أتصور امرأة بهذا الجمال ، حين طلعت لشقتها التى تعيش فيها بمنزل أمها بعد غدر الأخ الوحيد واستيلائه على بيوت ومحلات الأب ، لم يترك سوى إيجار المنزل الذى يقيهم ذل السؤال .

حكت الأم الحكاية كلها وهى تلبس نظارتها وتقول كل عدة دقائق : إشرب يا خويا الشاى ، "عليه" سمعت بشهامتك من الجيران وقالت الأستاذ هيرجع لى حقى ، إشرب يا خويا ، "عليه" غلبانة قوى ، مكنش لها حظ فى الرجالة إتجوزت مرتين لكن نصيبها تبقى وحيدة .

دخلت "عليه" الحجرة ، وتركتنى مع أمها بالصالة لتفتخر بأيام العز فى حياة زوجها الذى تفنن فى إرضائها ، لكنها لم تعرف سبب القسوة التى ملأت قلب إبنها فقاطعهما بعد استيلائه على تركة الأب ، قالت الام بحسرة : تركنى وأخته بالشقة كالمقطوعين من شجرة ولولا إيجار البيت لكنا موتنا من الجوع ، سوقنا عليه النبى علشان ربنا يهديه ، لكن إحنا برده ولاد أصل ، "عليه" ياما شالت ، ده غلبانة قوى يا أستاذ .

نادت "عليه" من حجرتها لترينى العقود ، استأذنت الأم التى قالت بحب : أتفضل يا بنى أنت زى أخوها .

أعادت "عليه" النداء فذهبت مسرعًا لحجرتها وقالت بدلال : خش يا أستاذ متخفش ، سحبتنى من يدى وأغلقت الباب وفتحت دولاب ملابسها الكبير وقالت: ميت قميص نوم اشتريتهم لأزواجى الاثنين ، لم أهنأ بلبس واحد منهم ، أجلستنى على السرير وهى تفك أزرار عبايتها الضيقة وحجابها ، ظهر شعرها الملون المفرود كشعاع الشمس ، قالت : الرجالة عميت حاولت كثير لكن مفيش فايدة ، لازم الواحدة مننا تبقى عبدة علشان تعيش ، أنت يا أستاذ هترجع لى حقى .

أمسكت يدى بتودد وقالت : قرب يا أستاذ ، أنا عارفة أنك طيب ، أنت عارف من سنين لم تلمس يد رجل صدرى ، خلعت العباية لتظهر نهود امرأة رائعة ، واستكملت بعد التصاقها بجسدى : قرب يا أستاذ ، دا أنت ابن حلال ، أنا هحكى ليك كل حاجة ، شدتنى على السرير ، أخلعتنى ببراعة ملابسى ، لامست أعضائى فارتعشت ، كانت طاقة هائلة ، نور عيونها لم يغب لحظة واحدة.

كان الليل قد قارب على الانتهاء وهى تنام آمنة بحضنى ، أذهلتنى براعتها وشعرها المحلول يرفرف على وجهى ، نمت دون أن أدرى حتى عصر اليوم التالى ، وحين صحونا مبتهجين من الدفء الذى ملأ الحجرة وجدنا الأم أعدت الفطور ، أكلنا كأننا بصباحية يوم زواج ، أخذت الأوراق والمستندات وخرجت ، وقررت استرجاع حق "عليه" الضائع .

لم أفهم أبدًا السر الذى جعل النساء تفتح بسببه قلبها وتحكى عن أسرارها التى لم اتمكن من تفسيرها أبدًا .

خلال هذه الأيام تعرفت على امرأة أخرى مملوءة بالحياة ، لم أصدق نفسى ومن كان يصدق أن "نبيلة " زوجة "سيد" الجزار تأتى لمكتبى بعبايتها السوداء وعيونها الواسعة وتدعونى لمنزلها لكتابة عقود الإيجار للعمارة التى ورثتها عن أمها ، دخلت مرة واحدة بحجرة المكتب وقالت بثقة : أنت مقبوض عليك بكرة بعد العصر ، أياك متجيش ، أنا مرتبه الورق والمستندات ، الحاج "سيد" هيزعل منك وبيقولك : هحرمك من أكل اللحمة لو مريحتنيش .

توجهت فى اليوم الثانى بعد صلاة العصر ملبيًا نداءها، سلم على زوجها وحضنى وقال : "أم محمد" مستنياك فوق ، أرجوك اكتب لها العقود الجديدة لسكان بيت أمها المرحومة علشان ارتاح من وجع القلب.

قال بسخرية فى أذنى : البيت بيلم ملاميم ، لكن هنعمل أية فى جنان النسوان ، بتقولك ورثى ماسيبوش لولاد عمى ، والنبى ريحها يا أستاذ .. أطلع .. أطلع يا خويا ، البيت بيتك ، أنت عارف .. مقدرش أسيب المحل .

نادى عشرات الصبيان والزبائن عليه يسألونه فى أمور كثيرة ، كان يجيب عليهم بكل تركيز باجابات واضحة وصحيحة .. الكبدة فى الثلاجة السابعة .. القلوب بخمسين جنيه من غير كلاوى ، ودعنى عند مطلع السلم ونادى يا "محمد" يا "محمد" الأستاذ "زين" طالع يا "أم محمد" وتركنى بعد أن صرخ أحد الصبيان وراءه ليعود ويراضى "أبو عوف" موظف التموين.

طلعت السلالم فى حياء ، فوجدتها أمامى ، أمسكت يدى برقة وأدخلتنى إلى شقتها الواسعة ، وقالت لامرأة عجوز تنظر ناحيتي بدهشة : إعملى شاى يا "أم حسن" .

حكت حكاية بيت أمها الذى أخذته بالمحاكم ، حكت عن طمع أولاد العم لأنها وحيدة ، حكت عن أبيها الرقيق الذي كان يحضر لها فى المواسم الهدايا ، كانت تحكى كأنها تتعرف على نفسها ، وفهمت بعد ساعتين أنها لا تجد من يسمعها فـ "محمد" ابنها الوحيد لا يزال بالحضانة و"سيد" زوجها يعمل ليل نهار ولا يطلع للشقة إلا كل عدة أيام ليستحم وينام معها .

لم تعطنى فرصة لأرد ، كانت مصره على اقتحامى ، أظهرت أفخاذها اللينة حتى فوق ركبتها وهى تحكى عن عضة كلب فى اليوم الذى مات فيه الأب ، فجأة قالت العجوز : أنا هدخل مع الأستاذ الأوضة البحرية علشان نورها عالى وهو نظره ضعيف ، محدش يخش علينا ، قالت الجملة الأخيرة كأمر صارم وأخذتنى من يدى للحجرة ، وقالت : العقود معاك عايزة أغيرهم بأسمى واللى أنت عاوزه .

همت بخلع ملابسها بعد أن أغلقت باب الحجرة فقلت خائفًا : الحاج "سيد" تحت!!

قالت : الحاج لا يعرف اسمى .

نظرت فى عينى للحظات فانهرت ، ووجدت نفسى كالعبد تحت فرجها ، حضنتنى وهى تبكى وتقول : أنت زى أخويا ، أنا هتجنن ، بقيت زى البقرة أكلّ وشرب ونوم ، كأنى انتظر الذبح ، أعمل أية يا أستاذ يرجعنى "نبيلة" بتاع زمان ، قولى إزاى أرجع الزهرة التى كان الجميع يتمنى شم رائحتها!

أمسكت يدى وضعتهما على شفايفها وخلف أذنها ، اقتربت أكثر من عيونى ، تحولت لقناة مياه جاهزة لرى الأرض ، تجهزت لقذف الحب لمجرى الحياة ، فكت ضفائر قميصها فظهر صدرها كاملاً ، أمسكت يدى وضعتهما على حلماتها ، نزلت بهم تحت صدرها ، أمسكت ثدييها بكلتا يدى ، ابتعدت عنى ، خلعت قميصها وألقته على السرير ، نظرت لعيونى ، أحطت ظهرها بيدى ، حضنتها برفق من تحت ردفيها لتلتصق بصدرى ، أنزلتها ببراعة على السرير وفتحت فخذيها فظهر أمامى كاملاً ، ملست عليه ، طهرتنى رائحته من الخوف ، انتعشت وامتلأ بيدى ، تحسست قضيبى ببراعة ، لم تقل أدخله ، لحسته ، كادت أن تنفجر فى روحى ، تلمسته مرة أخرى ، دخل قضيبى ببطء وهى تتأوه بطريقة فتتنى ، طار السرير محلقًا بنا خارج المنزل ، دار على الحدائق والمتنزهات التى زارتها فى حياة الأب ، استعادت البراءة والبهجة ، لم تعد تتذكر

يوم رحيل الأب أو عضة الكلب ، ضمتني بقوة ونحن طائرين لأتدفق في نهرها وهي تنادي على أمها لتعيدها كزهرة مبهجة قبل أن يذبحها "سيد" الجزار .

قامت من فوقي وقالت وهي تضمني لصدرها : هتغير العقود وتعيد احترام أقاربي لـ "نبيلة" الزهرة البرية ، لبست ملابسي ودخلت الحمام لاغتسل ، لم أتوقع وأنا راحل أن تحلف ميت يمين لأتعشى ، قالت بثقة : الحاج "سيد" يزعل دا عامل الكباب بنفسه .

جعلني هذا العمل الأمين على أسرار النساء التي عشقت الحياة ، كانوا يحاولون من خلالي إعادة سحرهم ولو لدقائق كي يستطيعوا أن يستمروا أحياء حتى الآن .

## "دنيا"

دخلت مكتبى وقالت : اسمى "دنيا جمال عبد الناصر حسن" ، والدى هو من كتبنى بشهادة الميلاد تيمنًا بخدمته فى الجيش ، تزوجت مرتين ولم أنجب ، تركونى رجالى وتزوجوا بأخريات لرؤية أطفالهم ، لكن القدر لم ينسنى ، أعطانى منذ عشرين عامًا بنتًا كانت عجينة ، تركتها أمها دون رحمة فى ليلة مقمرة أمام جامع "الخولى" ، كتبتها باسم "قمر" باعتبارها أختى ووافق أبى يومها وقال "ربنا يحمى ولايانا" .

دون أن أنطق استكملت قائلة : ورث أخى الوحيد وأختى منزل أبى وحرمونى التمتع بذكراه ، رغم أنى ربيتها وأطلقت عليها اسم "قمر" إلا أنها خدعتنى ، تركت شقتى الصغيرة بعد أن كانت تملأ على البيت بالنور ، كانت تعمل وتصرف علينا ، عملت بورشة عبايات "بخيت" عند السنترال ، ثم تركتنى وذهبت لبيت أبى لتعيش فى ورثى بعد مشاجرتى مع أخى لمنعى من دخول البيت .

انطلقت شاردة تستكمل : خلبت "قمر" عقل أخى الوحيد رغم أنها متحرمة عليه لأنها رضعت منى إلا أنها تعاشره بعلم الجيران جميعًا ولكنهم لا يستطيعون فعل شىء لأنهم يعرفون حقيقة اللقيطة بنت الشوارع التى قال أنها زوجته .

وصفت "دنيا" المشاهد التى رأتها بين أخواتها "قمر حسن" و"على حسن" وقالت : كانت تختلى به لتريه ثدييها البارزين وتجعله يلحس حلماتهما ، تتحسس صدره ليفجرها ، كان يصرخ بصوت مسموع : كفاية يا بت ، كنت أقول دول شباب والبنت اتحرمت من الحنان وتستحق أن تتعرف على الدنيا ، لكن أن يأخذا حقى بمنزل والدى فإن ذلك لا يرضى حتي ربنا .

كنت مبسوطة ببهجتهم ، حين يزورنى أصدقاء طليقى واختلى بهم بعض الوقت ، كنت اسمع صراخها من النشوة مع أخى ، قلت لها كثيرًا : عيب يا بت الضيوف يقولوا أية .

كانت تقول : يا أمه بحبه .

حين شاهدها أبى قبل موته بحضن "على" قال : البت "قمر" عينها على أخوكى خلى بالك منهم يا "دنيا" .

جمعت ملابسها ، ولم يكن قد مر أربعين يومًا على وفاة والدنا وقالت : أنا هروح عند "على" فى روض الفرج ، قلت لها : هتسيبينى لوحدى يا "قمر" .

قالت : إنتى مش لوحدك ، وضحكت بفجر كأنها تذكرنى بأصدقاء طليقى وشباب الحتة الجدعان الذين يساعدونى على المعيشة .

قلت: يا فاجرة إتلمى أنتِ عارفة أنى السبب فى حياتك .

قالت : مهوش جميل ، ياريتك سبتينى للشارع ، كان أرحم من البهدلة والقرف اللى كل يوم أسمعه منك ، أخذت نفسها وحملت حقيبتها على كتفها وذهبت لبيت أبوى دون أن ترتدع من تهديدى بحرق نفسى .

ارتديت ملابسى وخرجت وراءها ، وصلت للمنزل الذى آوانى كثيرًا ، نظرت من بلكونة شقتى بمنزل المرحوم "حسن" وقالت : "على" مش هنا ومحرج على أفتح الباب لحد .

صرخت وولولت حتى اجتمع أهل الشارع ، أكدت لهم أنى بنت "حسن" بينما الشرموطة التى تعيش بمنزلنا لقيطة وبنت شوارع .

جاء أخى من على المقهى ماسكًا سكينًا ، وقال بصوت عالى : يا ولية ابعدى عنا إنتى مش أختنا ، يا ست روحى بعيد عنا أبوكى اسمه "جمال عبد الناصر" وليس "حسن السويسى" ، قال للناس : أبوى كان بيساعدها لأنها بنت صديقه الذى مات بالحرب وكنا نزورها بالمواسم أنا وقمر ونمن عليها بما فيه النصيب ، وسألهم بحسرة : ده آخرة الكويس يا ناس .

حاول الناس إبعادى عن الشارع وسمعت آخرين يقولون "ودوها سراية المجانين" ، هنا تذكرت "جمال عبد الناصر" فدعيت على أبوى "حسن السويسى" الذى افتخر بخدمته بالجيش ليحرمنى من ميراثه ، قررت أن أقاضيهم بعد أن علمت أنهم ذهبوا للمحكمة واستخرجوا إعلام وراثة وأخذوا نصيبى ويعيشون بمباركة الجميع كأخوات رغم أنهم يقومون طوال الليل والنهار بمعاشرة بعضهم كالكلاب ، لم تعطنى "دنيا" فرصة للرد أو التعليق ، لأنها خرجت بسرعة من باب المكتب للشارع وهى تقول : عوضى عليكى يا بنت "جمال عبد الناصر" ، أبوكى مات ولم يعد لك أحد ، حتى أخوكى وبنتك خانوك .

## "شهد"

ما هذه التعاويذ التى تجعل النساء بهذه الروعة والجمال ، هل خلق الله أرواحهن بمواد مختلفة عما خلق به الرجال؟ هل ظلم الله الرجال حتى يمن عليهن بكل هذا العشق للحياة؟

يضحين بحياتهن من أجل الحبّ والدفء والأمان ، ليس هناك لدى أى امرأة شىء أهم من حضن رجل عاشق ، تضحى بحياتها بمنتهى الرضا لتسعد بروحه.

قابلتنى صدفة فدخلت قلبى ، تمكنت منه حين لمحت بجدرانه شىء لم أفهمه أبدًا ، امتلكته بطرف أصابعها ، عاشرتنى بعد ثقبها جدران قلبى الذى تعشش بأركانه ، كانت امرأة مطلقة بارعة فى الحب ، لم يهمها دخولى بعلاقات نسائية كثيرة ، لم أهتم بمعرفة علاقاتها الأخرى بالرجال ، كانت تعلم أن العاشق الولهان سيغفر لها كل شىء ؛ لأنها ميزته عن كل الدنيا ، أو هكذا هيأت لنفسى لأفهم وأحس وأؤمن بأننى رجلها الوحيد المفضل .

لن أنس الليلة العجيبة ورائحة أنوثتها تفوح من جسدها ، استمتعت بروعة ملمس نهديها ، احسست بهم ممتلئين عن آخرهم بالرحيق ، حين قالت : أختى هتسهر معنا الليلة .

أندهشت لآن أختها كانت دائماً تلاغينى بدلال وتسبنى بصوت عالى أمامها ، وتقول : "أنت ملكش فى النسوان يا راجل".

أختها خفيفة الدم ، دائمًا تلاطفنى وتجرى ورائى فى قيلولة العصر بشقتهم الواسعة حتى تبتهج كل جوارحى ، كنت خجولاً من فجرها ، برغم أن "شهد" كانت تتركنا فى أيام كثيرة نغازل بعضنا البعض دون أن تمتعض ، لكنها اليوم ترغب فى دخول أختها بيننا ، هذا ما لم أتوقعه أبدًا ، قبل أن ينطق لسانى دق جرس الشقة التى استأجرها بمدينة بعيدة لأعيش مع "شهد" دون أن يلاحظنا الجيران .

دخلت "ناهد" وقالت: أنت فين يا وسخ هتتطلع من الأوضة ولا أدخلك ، لم أكمل ارتداء ملابسى حتى وجدتها تقفز على بالسرير ، تحسستني برضا ، أسنانها البيضاء وشفتيها المملوئتين وعيناها الواسعتين يضخان رحيق الحب فى جسدى ، قالت : دلوقت بتشتغل مع "شهد" ، بس إحنا مالناش نفس ، ريحتى مش على هواك يا زبالة" .

ردت "شهد" من المطبخ : يا أختى أشبعى بيه .

أغلقت "ناهد" باب الحجرة وركبت فوقى وقالت : هكشف عليك الأول ، زنقتنى بالحائط وأنا غارق بالخجل ، خلعت حجابها فظهر شعرها الأحمر كالشمس ، أحسست بملمس نهديها فاقشعرت روحى ، انتصبت على آخرى ، نزعت ملابسها بطريقة أذهلتنى ، أمسكت قضيبى المنتصب ، وضعته فى فرجها وهى تركبنى ، انحنت برقة على أذنى ، وقالت : يا فاجر يعنى ليك فى النسوان اهو !

لم أعرف كم مر من الوقت وهى تمتطينى ، حين فرغت من مهمتها ، تركتنى على السرير متجهة للخروج من باب الحجرة وقالت : يا مجرم الأيام بيننا .

لبست ملابسى بسرعة وعدت للصالة ، قالت لـ "شهد" وهى تشير على وجهى المضئ : لى نصيب فيك يا روح أمك ، ملكش حجة تانى ، هى موافقة .

قالت "شهد" : أنا مالى يا ختى أهو عندك .

قالت "ناهد" : أية رأيك يا سبع البرمبة .

لم أرد ، قالت "شهد" : السكوت علامة الرضا يا بت أنتِ يوم وأنا يوم .

كانت الأختان يعاشرونى لتثبت كل واحدة لنفسها عن جدارة أنها المرأة الأفضل ، ومع ذلك لم نبح ثلاثتنا لأنفسنا عن روائح عرقنا المبهرة ، الشىء الممتع أن تكتشف كل يوم نفسك كرجل مختلف فتقوم بدور جديد مع إحداهن التى لا تتركك إلا إذا أبدعت الرجل المناسب ، عاشرتهن كمعلم وعربجى ولص وقاتل ومتهم ودكتور ومرابى وفكهانى وحلاق وقهوجى وفاسد ومزور ومحامى وشيخ وقسيس ، عاشرونى كنساء لكل هؤلاء الرجال ، لم أترك مهنة إلا وقمت بأدائها على أكمل وجه.

ارتعشن من النشوة كل ليلة مع فارس جديد يعشن معه طوال الليل ، لم أنس الليلة التى كانت "شهد" تعاشرنى وقالت بلوع : أية يا وسخ مش قلت لك قبل ما جوزى ينام أنا عايزة راجل ، إنت لسه خايف لحسن ميكونش نام ، يا بنى المخدرات والبرشام اللى شربهم فى الشاى خلته سطحيه ، لن يصحو قبل يومين ، حين وجدتنى أقوم بتقمص دور العشيق بحجرة نومها وزوجها ملقى بالصالة قالت : جوزى فى سابع نومه ، قلبت جسدى بأطراف أناملها وقالت : دا زى الميت .

انتصبت فجأة وقلت : هو مش نايم يا هايجة ، بركت فوقها أنزع ملابسها أفك ضفائرها ، ظلت طوال الليل تتأوه لتدلل على عمق خيانتها لزوجها البقف الذى يحضر أصدقاءها الخونة لبيتها ، ويحشش معهم دون أن يدرى أن للبيت حرمته ، قامت بتحديه بينها وبين نفسها ومعاشرة كل أصدقائه الذين يسهرون معه ببيتها .

يعلم زوجها خيانتها مع أصدقائه ويتركها بإرداته تعاشرهم من أجل أن يتركوا المائة جنيه نهاية كل ليلة لـ "شهد البنات" ، لكنها رفضت أن تأخذ نقودى وقالت عائدة لحضنى الدافئ : الكلام ده قبل طلاقى يا روح أمك ، أنا هكلك ببلاش .

ابدعت "ناهد" مشاهد أكثر إثارة من أختها ، جعلونى أفهم السر ودفعونى لأن أقوم بكل أدوار الرجال ليبرروا عشقهم ، رفضوا بإباء رجال تركوا زوجاتهن للوحدة ، رجال أهلكتهم الحياة وحب المال فتجمدت مشاعرهم ، واستحقوا خيانة زوجاتهن ، ومع يقينى بفقدهن خيوط المشاعر التي تستر عورات الناس كنت أذهب إليهن كل ليلة لمداواة جراحى وتطهير روحى وملأ أعماقى بأنهار محبتهن .

## "بهيجة"

حين أنهت "سامية" دراسة الدبلوم أعلن أهلها موعد زفافها ، فأنتقلت بشقة "مجدى" بشارع بعيد بأطراف المدينة ، يعمل أهل هذا الشارع بكل المهن ، الحدادة ، النجارة ، الفلاحة ، العلافة ، خليط من إنتاج أبدعته البشرية لنظام ترك كل شيء يتطور وفق معايير غريبة لم يكتشف أحد أسرارها حتى اليوم .

يقبع على أول الشارع بيت الحاج "عبيد" تاجر الأراضى وأبن أخيه "شرف" الجزار وعلى جوانبه تتوالى الدكاكين والمقاهى ومحلات الطعام لدرجة أدهشت الزائرين من المدن والريف ، والشيء المذهل أن نهاية الشارع لا يعرفها أحد.

تقع شقة "سامية" بالدور الثانى بعمارة مكونة من ستة أدوار يملكها "شرف" الجزار ويسكنها جميعًا عرايس جداد ، كانت "سامية" آخرهم ، ظلت غريبة فى الحيّ رغم كل هذا الجمال الظاهر بعيونها وشمخة أنفها .

استمر زوجها لمدة شهرين متواصلين نائمًا بشقتها ، لم يرَ الشارع إلا من خلال شيش البلكونة ، كانت رائحتها تدفعه للجنون والإبداع والخلق ؛ لدرجة أن أهل "سامية" وأهله حقدوا عليهما ، فكيف لرجل وامرأة أن يتعاشقا كل هذا الوقت.

كان الجيران يحكون عن أرواحهم المنتشرة بالشارع طوال الوقت ، لم يمنع سراينها ليل أو برد أو صراخ ، لكن الحياة ليست كلها "سامية" يا "مجدى" هكذا قال رئيسه فى العمل حين هاتفه بالتليفون ليعود لمكتبه درءًا للفصل.

اضطر "مجدى" ترك "سامية" عدة ساعات كى لا يموتا من الجوع ، ووافقت على غيابه عدة ساعات ليأتى بالطعام ، كانت تلبس الجلاليب الملونة وتنزل للشارع بشعرها الناعم لتشترى الخضار أو الفاكهة فينطق البائعين والنساء أطيب الكلمات كأنهم عصافير .

خرج "مجدى" من الدنيا بـ "سامية" وصديق عمره "محى" السائق الذى تزوج قبل "مجدى" بسنة "بهيجة" الدلالة التى جعلت حياته كجنة رضوان ، يتقابل "مجدى" و"محى" كل ليلة يحكيان عن إبداع نسائهما فى الحياة ويتفاخران بالأوضاع والكلمات الرائعة التى تطلقها زوجاتهما لتلهب مشاعرهما.

مرت سنين كثيرة ومنزل "سامية" رمز الأنوثة يعلو وينتشر صيته بين الأصدقاء والأهل ، وطالت جلسات "مجدى" و"محى" وحديثهما عن نسائهما أثناء لعب الطولة على المقهى ، رزق كلاً منهما بابنتين جميلتين إلا أن البهجة مازلت تسرى فى وجوه نسائها ، قالا لنفسيهما فى صمت وهما يودعان بعضهما كل يوم : قل رزقنا لكن زوجتنا المبدعات استطعن أن تؤقلمن أنفسهن مع أى دخل لننعم فى العشق .

فى ليلة غريبة وبعد أن نامت طفلتى "سامية" ، هم "مجدى" بملاطفتها ليتسرب رحيقها لجسده ، سمعا دق الباب ، كان الليل فى أوله ، فوجئا بـ "بهيجة" و"محى" يدخلان ويصرخان فى وجهىْ بعضهما البعض ، قال "محى" : اعذرونا يا جماعة ، جينا من غير ميعاد ، الوقت متأخر معلش ، بس الهانم عايزة تطلق وأنا صابر عليها من شهور ، اتفقنا نيجى نشتكى لكم ، أنتم أهلنا ، وأحنا موافقين على حكمكم .

قالت "بهيجة" : البيه بيصرف إيراد العربية على شرموطة بيعرفها عند الموقف ، وكل يوم يرجع مخمور ومعهوش جنيه فى جيبه ، صابرة عليه وأقول بكرة يتعدل حاله ، لكن أنا والبنتين مش لاقيين نأكل ، طلبت الطلاق ، علشان أشوف راجل يحمينى ، أبقى غلطانة !!

قال "مجدى" : أهدءوا يا جماعة ، مصارين البطن بتتخانق ، وقال لـ "سامية" : سخنى الأكل خليهم يتعشوا ، صلوا على النبى يا مؤمنين .

أعدت "سامية" و"بهيجة" العشاء وهما تتهامسان على رفيقة "محى" التى يعاشرها ويصرف عليها فلوسه ، حاولت "سامية" أن تهدىء روح "بهيجة" التى كانت ملتهبة بفعل الخيانة، فاشعلتها دون أن تدرى بوصفها لرفيقة زوجها وجمالها الفتان .

عاتب "مجدى" صديقه ، أعطاه سيجارة بانجو وشربها الاثنين فقال وهو منتعش بالحياة : أن "حورية" التى تتهمها بمرافقتى امرأة على حق ، تعرف مداواة تعبى وجراحى وإلا كيف استطاعت أن تأخذنى منها .

جاء الطعام و"مجدى" و"سامية" يحاولان تهدئتهما ويطالباهما بالبيات ، مادام طفلتيهما عند أم "بهيجة" ، طلبت "سامية" من "بهيجة" تغيير ملابسها ، أعطتها جلبابًا مقلمًا بألوان خضراء وصفراء مفتوح الصدر ، جعل "بهيجة" الحزينة حورية ، وارتدى "محى" جلباب "مجدى" الأبيض ، فقال "مجدى" لصديقه متعجباً : كأنه متفصل عليك .

جلسوا الأربعة فى الحجرة الواسعة يتوسطهم الطعام وأكلوا دون أن يدروا انه طعام العشق ، تحدثوا فى أمور أخرى ، اشتركوا جميعًا فى النقد والسخرية من "عبيد" وأخوه "شرف" الجزار ، والشارع الطويل الذين لا يعرفون نهايته ، عاشوا للحظات فى الأمان المشترك الذى يظللهم ، نظروا لبعضهم دون حديث ، اكتشفوا سر رائحة الطعام المشترك ، قال "مجدى" بعد أن أنهى عشاءه : كملوا بالهنا والشفا ، أنا هعمل لكم الشاى .

قالت "بهيجة" : وأنا كمان خلصت ، تعالى أساعدك .

دخلوا المطبخ تاركين "سامية" و"محى" يستكملان طعامهما ، قالت "بهيجة" بصوت عالى من المطبخ : الصابون فين يا "سامية"؟!

ردت "سامية" : فوق الرف الأخير .

حين فشلت فى فتح الرف العالى ، اقترب "مجدى" منها ليفتحه ، التصق بها ولم يميز بينها وبين "سامية" ، وضع الصابون على الرخامة ، نظر لعيونها وهى تضع يديها على يديه لتلتقط الصابونة التى سقطت على الأرض ، فانتقلت رائحتها وحرارتها لروحه ، فقال: "محى" حمار إزاى يخون واحدة زيك ، دا أنتي ملاك ، كان صدر "بهيجة" المفتوح إيذانًا بلعب البانجو فى رأسه .

ردت "بهيجة" فى نفس اللحظة : لم يعاشرنى منذ شهر ، ونظرت لنهديها البارزتين : ماذا أفعل بنفسى؟!

التصق "مجدى" بجسدها وقال : أنت فى بيتك يا "بهيجة" .

بكت وقالت : "بس سامية؟"

قال وهو يلتصق بها : ماتخافيش هنتلاقى حل !!

فى نفس الوقت كان "محى" يقترب من "سامية" فى حجرة الطعام ، وقال : الحنية حاجة جميلة ، بس إنتى عارفة صاحبتك دماغها فى الفلوس والأكل ، حاولت أفهمها إن الناس بتشتغل علشان تستمع بحياتها والراجل منا شهوته عالية ، ميقدرش يحوش نفسه ، لازم الست تملأ عين الراجل اللى معاها .

قالت "سامية" وعيونه تلتهم جسدها : "بهيجة" ست النسوان بس إنت طماع وعينك زايغة زى صاحبك .

كان جلباب "مجدى" الأبيض يظهره كرجل متوحش ، اقترب منها وتحسس صدرها وقال : يعنى الواحد لما يشوف ست حلوة يعمل إية ... ولو مش قادر يحوش نفسه يموت من الجوع.

فصله البانجو الذى شربه طوال الليل عن العالم ، سحر بياض جلبابه وعيونه الناعمة قلب "سامية" فقالت : "مجدى" جوه المطبخ يا مجنون ، "بهيجة" تسمع .

قبل أن تتحرك من جواره قال : مش مهم ... هنتلاقى حل!!

كان الليل يقترب إيذانًا ببدء ليلة عجيبة مرت بها هاتين الأسرتين اللتين قررتا أن يستكملا العشق والاستمتاع معًا بصرف النظر عن فهم الناس الذى يحرم حل مشاكلهم بشكل جماعى .

نام الأربعة بالشقة بعد أن ظلل رحيق الأنوثة الطاغى سماءهم ، وفى الصباح توجه "محى" و"مجدى" لعملهم وقررت "بهيجة" و"سامية" طهى أجمل الطعام لرجلين طمعت عيونهم وقلوبهم فى اكتشاف مناطق العشق المبهمة فى قلوب النساء ، تحديا الشارع والأهل وظلا صديقان يواظبان على المبيت عند بعضهم البعض ويأكلان سويًا وينامان سويًا ، شم أبناؤهم الأربعة هذا الرحيق فاستحقوا أن يكونوا فتيات السعادة ومصدر السر .

عاشت الأسرتين كأخوة ، ارتدوا ملابس بعضهم البعض ، أكلوا طعامهم المشترك كأبناء رجل واحد ، إلا أن "محى" لم يتمكن من ترك رفيقته "حورية" التى كان يقول عليها أنها مصدر الحياة ، حسدتها "سامية" و"بهيجة" أوقات كثيرة ، أُجبر "مجدى" فى النهاية على مرافقة زميلته "هدى" فى العمل ليجد ما يحكيه لصديقه "محى" فى جلساتهما على المقهى وهما يلعبان الطاولة ويستمتعان بشم رائحة الأنوثة التى تستحق أن تكون هدف الحياة.

## "شادية"

ما الذى دفعها لترك بيت زوجها الفسيح فى شارع "عباس العقاد" بمدينة نصر والعودة للشوارع والمقاهى التى تمنت السهر فيها للصباح ، تركت الأمان والنوم حتى الظهر والثلاجة المليئة بخيرات الله والدولاب البلكار المملوء بالفساتين وقمصان النوم ولوحة الألوان المبهرة فى الصالة الواسعة ، دفعها جنونها لترك كل هذه الأملة للجلوس على المقاهى بوسط البلد دون أن تعرف أين ستبيت الليالى!!

قالت لزوجها وهى تغادر بملابسها العارية فى الساعة العاشرة ليلاً : طلقنى بالثلاثة فلن أتذكر شكلك بعد اليوم .

واجهت الدنيا وقررت أن تنتصر ، لم تكن تعرف اتجاهها ، لكنها كانت على يقين بضرورة الاستمرار لنيل مرادها ، وقفت وسط الشوارع تنادى على سيارات كثيرة لتوصيلها لمنزل لا تعرف مكانه ، صعدت منازل زبائنها ، كانوا غرباء هؤلاء الشباب الذين يجوبون الشوارع بحثاً عنها ، عندما تدخل شققهم تحس بنفس رائحة سجادها القديم وعرق زوجها .

أيام وليالى كثيرة حاول الشباب أن يخلعونها ملابسها عنوة وامتطائها ، كانت ترفض أو توافق مضطرة ، بعد قذفهم المتكرر تفاجأ بهم منسكرون يبكون بحرقة ، لم تصادف حتى الآن زبون برائحة مختلفة عن زوجها ، كيف ضاعت الرائحة التى تشممتها يوم خروجها من شقتها ، حاولت أن تتلمسها على نواصى الشوارع التى كانت تقف عليها بمفردها تنتظر الرجال المحرومين ، لكنها عبثاً كانت تهرب ، رغم مئات الرجال الذين عاشرتهم خلال السنين الماضية ، لكنها لم تعثر على رائحة الرجل الذى دفعها الجنون ، أصيبت بمرض مزمن بسبب روائح الرجال النتنة بالرغم من أن حوائط منازلهم وسجاجيدهم نظيفة .

قالت لنفسها حين تذكرته فجاءة وهو يلقى برائحته فى فرجها ويعاشرها كامرأة مكتملة : سوف أعثر عليه .. سوف استمتع مرة أخرى برحيقه .

تذكرت المشهد باكمله حين دخل عليها ليملأ أنبوبة الغاز ، كانت تقف بشقتها الفخمة شبه عارية ، نظر إليها بعطف كأنه يشفق عليها ، اقتربت منه حتى التصقت به وهو يقف متحديًا شعاع عيونها ، تشممت رائحته واحتياجه لجنتها فقالت : أنت مجنون كيف دخلت حتى هنا ؟

لم يرد ، سحبته وهى تحتضنه لسريرها ، فجرت نفسها بنشوة فى قلبه ، انتشر العبير محلقًا فوق العالم ، اكتشفت فجأة فى عيونه دون أن تعرف إسمه أنها امرأة .

لم يخرجهما من الجنة هذا اليوم سوى صوت الدق المتواصل على الباب ، ارتدى الملاك ملابسه بهدوء وهو ينظر إلى عينها بعشق ، قال بثقة : أنا نازل عايزة حاجة ؟

لم ترد ، كانت النشوة تفتتها فانسحب ليوقف دق الباب ويختفى .

هربت من بيتها ، لم يتمكن أحد من إعادتها ، آمله باسترجاع الرحيق ، أكدت بثقة أنها ستقابله ، كانت على استعداد بأن تدفع حياتها ثمناً للعيش وسط جنته التى لن تنساها ، كانت محقة فالحياة لا تستحق إلا تلك الرائحة التى تخرج كل ليلة من قلوب الحالمين.

**"وفاء "**

حين وصلنا لباب الشقة قالت : هتصل بك ألف مرة علشان تيجى ، أنت حمار ، أنا محتاجة لك ، سحبتنى من يدى ، ودخلت الشقة الواسعة ، عاشرتها مئات المرات فى هذا المكان ، لكنها اليوم مختلفة ، ترفع برقع الحياء منذ الصباح ، ولا تخاف نظرات الناس أو تهامس الجيران .

ادارت الجهاز على أغانى وموسيقى لم أسمعها ، خلعت ملابسها ، فكت توكة شعرها ، رمت بكلوتها فى وجهى وهى تقترب منى وتقول بصوت ضاحك : أنت حمار مبتحسش .

أخذتنى لحجرة نوم أبيها وأخلعتنى ملابسى ، أمسكت قضيبى بجبروت امرأة ستحرق اليوم كل الحواجز ، وصلت لأعلى جبال الدنيا ملبية نداء آلهة الحب ليباركوها ، قالت : لا تخف ، أنت البراق الذى أركبه ، لن تقع أبدًا الليلة إلا فى وادى العشق .. تطهر واستعد لأمتطيك إلى الجنة .

تحدثت كمجنونة وهى تقبل جسدى : أبويا كان بيعاشر أمى بهذه الحجرة ، وفى الأيام التى تنام عند أهلها كان يحضر رفيقته الرائعة ، لتدغدغ قلبه ، كنت أنام بالحجرة الأخرى ، أسمع همسهما بأذنى وهى تقول : يا راجل حاسب ، براحه يا مصرى ، كانت تقذف بقلبى وهى تقول بصوت عالى : حاسب ، حاسب يا مصرى .. يا ابن المفترى .

طوتنى فى حضنها وهى تحكى عن أخيها الكبير ومداعبته لأصحابها على نفس السرير أيام غياب الأب وقالت : صديقاتى كانت تحب عيونه ، يأخذنه للحجرة فينظر بعطف ناحيتي ويقول : يا "وفاء" حضرى الغذاء ، إحنا هنخش جوا نحكى شوية .

يبدع أخى فى ملاطفتهن ، يضع "هند" على فخذيه ويلحس نهديها وأنا أتلصص من شباك الحجرة وهى تغمض عينها وهو يضع قضيبه أعلى فرجها فتقول : دخله كله ، دخله يا "طاهر" .

تضغط على ، تفعصنى بهدوء ، تقول بصوت مسموع : دخله كله يا حمار .

انتفض والحس نهديها فتقول بعد أن تهدأ : يا مجرم أنت غلبت "طاهر" ، مكنتش عارفة أنك بتفهم ، تطير بروحى ، لأفرغ كل طاقتى في قلبها ، تقوم من تحتى وتتمدد بجواري صامتة .

فجأة تخرج من الحجرة وتجلس على كنبة الانترية وتناديني وتقول : الحمار جوزى قبل ما يطلقنى كان يحضر رفيقته لشقتى ويقول أنها تساعده بالمكتب وأنا زى الهبلة أقول وماله ، نامت عندنا أيامًا كثيرة ، وانا أذهب لعملى ليستمتعوا بالشقة ، وحين أعود أجدها تلبس قمصان نومى وتجلس بجواره كحبيبته فأقول لنفسى : يا عبيطة دى بتساعده فى الشغل ودول زمايل ومش ممكن يعملوا حاجة غلط أبدًا فى حقك .

أغلقت أنبوبة الغاز وأغلقت باب المطبخ وعادت لتلتف حولي ، لبست قميصها الأسود فى غفلة وقالت : عاشرها بهذا القميص أمامى بعد أن شربوا عشر زجاجات بيرة ، كنت أتفرج عليهم بذهول ، لم يكن يهمنى وقتها إلا تحقيق حلمى بمعاشرة رجل مثلك أمامه وهو يتفرج علينا ، ليته يحضر الآن لأرى وجهه ، نظرت إلىّ بعشق لتعيدنى مرة أخرى لسموات الحب لتستمتع بآلهتها وهم يغنون مبتهجين برائحتها ،و قالت : أنت تستحق أن أذوب فيك .

أمسكت قضيبى بنشوة ووضعته فى فمها ، واستكملت : كان يتأوه مثلك وكانت تقول له وهى تضع فرجها بين عيونه : أوعى تتحرك لحسن أقتلك لسه مجبتش ، دوس قوى يا وسخ ، كان زوجى يقول فى نشوة وهو مغمض العينين : أدوس كمان يا علقة ، أدوس يا هايجة .

رفعتها من فوقى وقلت وأنا ممتطئ فخذيها : يا فاجرة ، أدخلت قضيبى فى فرجها فصرخت من النشوة ، وقالت: أنت تستحق أن تخونهم جميعًا .

## "نوسة"

كانت تسكن بالقرب من مقهى "فتح الله" الذى يطل على ميدان البلدة الصغيرة ، ظل "طه أمين الشرطة" يجلس بمقعده بركن القهوة يختلس النظر لشقتها ، يشاهدها تطل من البلكونة بالدور الثانى وهى تلف شعرها بقمطتها الحمراء فيدخل فى نفسه ، يترك الشيشة ونرد الطاولة لدقائق كأنه يقهر داخله الذئب ، يتمنى أن يطير إليها ليتدفأ بملمس نهديها .

تتطاير قمطتها فى هواء العصرية ، يتلفت الشارع كله يمينًا وشمالاً ناحية رحيق الحب النابع من وجهها وهى تبحث عن رجل يستحق أنوثتها ، لم تعثر عليه فى عصارى كل الأيام الطويلة ، تصرخ الأم الجميلة التى لم تتعد الأربعين من داخل المطبخ على ابنتها بعد أن تشم رائحتها التى تعرفها وتشاركها الأمل فى العثور على رجل يعاشرها ليبلل دفء جسدها الملتهب .

يعلم الجميع أن "نوسة" تصرف على منزل أمها بعد موت أبوها الصول "حسن" مقتولاً فى إحدى نوبات الحراسة ، خرجت "نوسة" بناء على رغبة أمها للعمل بالمدينة القريبة لتساهم فى تجهيز نفسها وإعالة الأم .

تلبس "كوثر" الدلوعة قمصان النوم وتقف ببلكونة الشقة قبل الظهر وهى تضع بشكير على كتفها العارى وتمضغ لبانها الدكر لتعطر فمها ، نهودها البكر تتلصص من القميص تبحث عن الحب فى حياء ، تتفتق عيون رواد مقهى "فتح الله" أو العابرون بالميدان على قلب امرأة لا تعرف الرحمة .

فى عصر يوم لم تظهر فيه الشمس قال "طه" لنفسه : ليس هناك سبيل لدخول هذا المنزل إلا من بابه .

فى اليوم الذى حددته أم "نوسة" جاء أمين الشرطة متأبطا ذراع أمه لطلب يد "نوسة" ، وافقت الأم لأن "طه" يعمل بالميرى ويخافه الجميع ، إضافة إلى أنه شاب يافع وسوف يلبى حاجات الأسرة ، بدون اتفاق كان "طه" يزور الأم فى الصباح بعد توصيل "نوسة" لعملها ليستكمل لها لوزم البيت ويأخذ بنصائحها فى عشق الحياة ، ويذهب آخر اليوم ليزور "نوسة" وتتركهم الأم بالحجرة يتحدثون عن تأسيس منزل الزوجية الذى يجب أن يلائم عشق الأميرة .

كعادة أهالى الحىّ كانوا يتابعون جميعًا ما يحدث ، وينظرون لبعضهم بتعجب لآن "طه أمين الشرطة" استولى وحده على نظرات وعيون ورائحة "نوسة" و"كوثر" التى بهرت الناس ، وباتت "نوسة" وأمها لا تتكشفان على أحد إلا لـ "طه" فقط لأنه اضحي رجل البيت .

تتكون شقة الصول "حسن" والد "نوسة" من حجرتين واسعتين تتوسطهما صالة كبيرة ، يفتح عليها باب الحمام والمطبخ ، كانت حجرة زوجته الداخلية تطل على منور أغلق درفته بحزم أمين الشرطة منذ إعلان خطوبتة ، بينما كانت "نوسة" تنام بالحجرة التى تطل على الشارع ، وتربس "طه" شيش البلكونة بحرص منذ دخوله الشقة .

تركب "نوسة" الميكروباص ذاهبة للمدينة كل صباح فيعود "طه" لأمها ، يدخل حجرتها الداخلية لتحكى عن مآسيها بعد وفاة الصول "حسن" ، عثرت الزوجة فى النهاية على أمين الشرطة الذى بلل فرجها العطشان ، تلبس قمصان النوم التى اشترتها "نوسة" لنفسها لتعاشره كفتاة لكن "طه" لا يقبل معاشرتها إلا بعد ارتدائها قمصانها القطنية القديمة التى ارتدتها للصول "حسن" ، تتأوة تحته دون أن يسمع الشارع صوتها ، استولى طه وحده على كل الرحيق الذى انعش الحىّ فى أيام الرضا .

تعود "نوسة" من عملها فى الخامسة عصرًا ، تستحم وتأكل سريعًا لتنام القيلولة ، فيدق "طه" على باب الشقة بعد عودته سريعا من القسم ، ويدخل على "نوسة" الحجرة ، فتقول الأم : سأحضر لكم الغذاء ، براحتكم يا ولادي، وتغلق الحجرة عليهم ، جرب "طه" مع "نوسة" كل الأوضاع التى سيبهجون بها العالم بتأسيسهما منزل مبنى على الحب الصافى .

نامت "نوسة" كل الأيام مع أمين الشرطة بملابسها الداخلية التى اشترتها بعرقها ، تلبس كلوت أمها الأصفر لتثيره ، فيقوم بتبديله بكلوتها الأحمر ، ويتفجر بارتدائها الروب فوق قميص ويدخل عليها مطمئنًا بأن عروسته مكتملة الملابس ، حين ينزل من الشقة فى الساعة العاشرة ويشاهد عيون الأهالى يعلم أنه أسعد خلق الله لأنه يستمتع بامرأتين فى عشق مفقود من الحىّ .

ظل الحال سنين كثيرة و"طه" يعاشرهن بشراهة ، عاشوا الثلاثة بجنة الرضوان ، تيقنت الأم وبنتها أن الله وهبهم المنى ممثلاً فى "طه" الرسول بأعتباره إله الحب الجبار ، لكن الطماع كان يرغب فى معاشرتهما معًا ، دعته شراهته ومرضه ليرى اللقاء الأخير للفجّر بمعاشرة "نوسة" فى صالة الشقة لتشاهد أمها بحضنه غريمتها الابنة .

لم يكتف الطماع بما أعطه الله من نعمة بحضن امرأتين مختلفتين ، تتفنن كل واحدة فيهن فى أظهار جمالها بجسديهما الفاتنين الرائعين ، فقد عقله فدبر نكاح الابنة على مرأى ومسمع أمها العشيقة .

فى اليوم المحدد قال لـ "نوسة" وهو يوصلها لعملها : خذى إجازة النهاردة .

ردت بدلال : مش قادر تستنى لبليل!!

قال بشوق : نعم ، فعادت للمنزل وهى تمسك ذراعه فوجدت الأم تلبس قميص نومها القطنى التى كانت تنام به مع أبيها الصول "حسن" كل خميس .

لم تنس "نوسة" رائحة أمها حين كانت تخرج من حجرتها تستحم فى طشت الحمام دون أن تخلعه فيظهر بياض نهديها مشعًا ، بينما رذاذ المياه السحرية ينتشر فى الحمام والشقة فتحس بالانتعاش والبهجة .

استغربت الأم والبنت ، لكن "طه" قال : "نوسة" تعبانة النهاردة يا حماتى قلت لها خذى إجازة وهقعد معاكو النهاردة نلعب كوتشينة وطاولة لحد متخف .

قالت أم "نوسة" : إلعب معى الأول.

وافقت "نوسة" وقالت : ماشى عقبال ما أعمل الفطار بس مطولش يا "طه" ، دخل أمين الشرطة حجرة الأم كالمتوحش ، ظلا لمدة ساعتين يتعاشقان ويتلذذان معتقدان أن العروسة تتلصص على الباب لتستمتع بخيانة الأم والزوج المنتظر .

خرج "طه" منتشيًا من الحجرة الداخلية ، ارتدى ملابس الصول "حسن" ، أزال عن نفسه رائحة الأم ، قابلته "نوسة" رافعة حقيبتها الكبيرة فوق رأسها عازمة على الرحيل ، كانت عيونها تنطق بالشرر ، لم يحس غلها وقال : مش هنلعب عشرة طاولة يا "نوسة"؟

لم ترد عليه ، حاول الامساك يديها ، صفعته على وجهه ، رفع طبنجته فى وجهها ليمنعها من الخروج ، أطاحت جزمتها برأسه ، ظلت تضربه وتكيل له السباب حتى جاء الجيران شامتين بالمجرم وهو يصرخ مرتعدًا ، جروه من ملابسه حتى الشارع ومزقوا جلباب الصول "حسن" الذى كان يرتديه ، أصبح عاريًا كما ولدته أمه ، ظهر سواد قلبه أمام الجميع ، رفعت "نوسة" رأسها ،

ومرت وسط الجيران المذهولين من جبروتها وقوتها ، كانوا يثقون بأنها تعرف خيانة الأم وتتستر على الشرطى ، لكنها حين تيقنت من خيانتهما رفضت الزوج المنتظر وهجرت البيت .

جروه المجتمعين بالميدان ، أشبعوا رأسه ضربًا وبصقًا وهو عاريًا كالكلب ملقى بأركان الشارع ، أخذ رواد المقهى ملابسه وأحرقوها ، أطلق "مهنى" صاحب المقهى عدة طلقات من مسدسه ليعلن سقوط الخائن .

رحلت "نوسة" عن الحىّ باحثة ، ذهب المجرم للترزى بعد عدة أسابيع فى غفلة من الأهالى ، استبدل البدلة الميرى السوداء ببدلة ميرى بيضاء ومارس عادته بالصعود لمنزل أم "نوسة" زوجة "حسن" الصول كى يواسيها فى ظل صمت مريب لأهل الحىّ الذين عادوا كرواد للمقهى يتمنوا عودة "نوسة" أطهر البنات وأشرف الخلق .

## "شمس"

دخلت مكتبه دون علمي بأن زوجته الثانية عنده ، كانت سيرتها تسبقها لأنها المرأة اللعوب التى خطفته من على زوجته ، سمح لى بالدخول ليعرفنى عليها وأقول رأيى فى مشكلة وقعت بينهما ، فتحت عيونها على غرة منى لتدخلنى بين جفونها ، خدشت حيائى ، كانت تعرف أنى صديقه الوحيد ، دلل شعرها المنكوش فوق رأسها والمائل للأحمرار وسيجارتها المشتعلة وهى تدخنها بشراهة على صدق ما أثير عنها .

– قالت بعطف وهو يجلس أمامنا يضحك بخبث : إختارك لتحكم بيننا ، زوجى يعتقد أنك صديقه العادل!!

– قلت موجهًا حديثى إليهما : إية الحكاية؟

ردت : البية عايز يبيعنى ذهبى علشان مزنوق فى المصاريف على الشرموطة مراته الأولانية وولادها الخوالات ، قلت لها : ميصحش كده ، برده عياله .

– قالت : أنا مالى أبيع ذهبى علشانهم ليه ؟

أشعلت سيجارة جديدة رغم أن الأولى لم تنته وقالت : أحكم يا أستاذ بالعدل اللى ربنا قال عليه ، بيع ذهبى وأخذ شقاى وإعطاؤه لمراته الأولى ميعتبرش ظلم!!

– قلت : أيوه طبعًا ، بس مفيش فرق بين الراجل ومرآته .

– قالت : أبيع الذهب بشرط يكتب إيصال أمانة بالمبلغ .

وقبل أن أنطق صرخ زوجها وقال : موافق ، وقع على الإيصال وأعطاها تليفونى لتتصل بى إذا حدث مكروه لها واستكمل ليؤكد صدق وعوده : إذا لم أسلمك المبلغ فى الوقت المحدد إتصلى بـ "عادل" ليأخذ حقك .

استأذنت بعد نظرتها التى أذابت ما تبقى من حيائى وتركتنا ، قام صديقى وأوصلها لباب الشقة وقال وهو عائدًا : امرأة عنيدة لكنها طيبة .

لم أرد وقلت ببلاهة : احمد ربنا على الستر.

تناقشنا فى كل شيء وقال : سأذهب عند مراتى الأولى الليلة لأبلغهم بالخبر المبهج ، سأدفع مصاريف البنتين واشترى ملابس المدراسة دون الاقتراض من أحد ، ودعته وسرت وحدى حتى وصلت لباب شقتى خائفًا من رائحة المرأة التى كادت أن تنط بكرشى حين قلت لها : استهدى بالله .

دق جرس التليفون فجاءنى صوتها قائلاً : عاجبك يا أستاذ "عادل" اللى حصل!!

قلت : مين معايا؟

قالت : "شمس" زوجة "صلاح" صاحبك .

قلت : أهلاً وسهلاً .

قالت : أنت كنت فى صف صاحبك النهاردة ومقلتش كلمة حق واحدة ، وعمومًا ده أمر طبيعى ، أنتم رجالة زى بعض ، بكت فى التليفون وقالت : أنا هانتحر دلوقتي ، الواطى أخذى ذهبى وذهب ليعاشر زوجته الأولى ، تركنى كالكلبة أنام وحدى بالشقة رافضًا الرد على تليفونى ، فى شرع مين ده ، هولع فى نفسى بأنبوبة البوتاجاز لو الوسخ مردش على الليلة دى ، صمتت برهة ثم قالت : قفله طبعًا حتى لا يسمع صوتى ، والله لأروح شقته وأفضحه .

قلت لها : الساعة واحدة والصباح رباح يا ست "شمس" .

قالت : أبدًا لازم أنزل له ، الوسخ عامل راجل على قفايا .

استأذنت منى لتنفيذ كلمتها ، قلت لها قبل أن تغلق السماعة : عيب ميصحش كده يا "شمس" إنت أعصابك تعبانة شوية ، إنتِ عارفة "صلاح" ده غلبان وقلبه طيب .

لكنها سبت الدين لـ "صلاح" ولليوم الأسود الذى عرفته فيه وقالت : أنا هجيلك دلوقت علشان أعرفك طيبته وأغلقت سماعة التليفون .

أحسست بمصيبة تلاحقنى ، اتصلت سريعًا بصديقى فلم يرد ، عاودت الاتصال بها ، وقلت واقفًا صراخها : خليكى بشقتك ، الدنيا ليل ، أنا هجيلك .

لم يفصلني عن الشارع الذى تقطنه سوى حارتين قطعتهما جاريًا خوفًا من تهورها ، لأنني أعلم أنها يمكن أن تقوم بعمل أى شيء ، ولم يكن هناك رادع لجنونها .

دققت الجرس ففتحت الباب ، وصرخت : لا يمكن أن أعيش معه يوم آخر ، أنا اخترتك لأنك العادل ، لم ينجب مني خوفًا على الشقة والعفش ، لا أريد رائحته ، يأخذ كل شيء ويعتقني، مش قادرة يا خويا ، خلاص جاب أخرى الفاجر .

قلت: "منصور" طيب ولا يمكن أن يكون بمثل هذا الشر .

أخرجت ملابسها الداخلية ، وقالت : منذ شهرين من الزواج لم يعاشرني النطع ، مرت ثلاثة سنوات على زواجي ولم يهنئني بيوم آمن .

استكملت باكية : سرقوا الأطباق والكوبيات وقمصان نومي ، كان يحضرها فى غيبتي ، الجيران أكدوا لي أنه يحضرها بالشقة لينام على سريري ، لبست ملابسي ، أكلا سويًا وناما على فرشتي ، عند عودتي من عملي أشم رائحتهما ، كان ينكر ويصفني بالمجنونة ويقول مكذبًا احاسيسي : اللي هيمشي وراء كلام الناس هيخرب بيته نفسه.

استطردت وهي تأخذ بيدي لتجلسني على كنبة الانترية : أنت الوحيد الذى أثق به ، خلصني منه .

قلت: إنتي عايزة أية!!

قالت : يطلقني ويتركني لحالي .

قلت : الصباح رباح .

قالت بإصرار وثقة : لن تتركني قبل طلاقي ، ستظل معي وتأخذني لمكتب اللص فى الصباح وتساعدني للخلاص منه .

مر وقت تلك الليلة طويلاً ، كنت أنظر لها مرتابًا لآن سيرتها تسبقها ، كنت أعرف أنها يمكنها فعل أى شيء ، قررت النوم بالصالة على كرسي الانترية .. لم تهتم بنظراتي الغريبة ودخلت حجرتها ، قلت لنفسي : لماذا طاوعتها ، يمكنها أن ترتكب أى جرم ، الفاجرة التي خطفت الرجل من على زوجته ، حين دقت الساعة الثامنة أيقظتني ، اغتسلت ونزلنا من الشقة

متوجهين لمكتب "منصور" زوجها ، طلبته على التليفون وهى تغلق باب الشقة وقالت بهدوء : ضرورى تيجى المكتب حالاً أنا عايزاك .

شاهدها بجوارى أمام باب المكتب ، تأكد أنى نمت بشقته ليلة الأمس ، شم رائحة الصابون الذى غسلت به وجهى والذى كانت "شمس" تشتريه من محل للعطور يصنعه مخصوص لها ، دخلنا حجرته وقبل أن نجلس على الانترية قال بتحدى فى وجهينا : لن أعطيها حريتها مهما فعلت ، لن أسمح لكما طالما حييت بالزواج والعيش معًا ، نظر بغضب ناحيتى مهددًا : لولا العشرة لقتلتك يا خائن .

قلت فى تحدى : متفهمنيش غلط ، أنا صديقك المخلص ، أحاول مساعدتك .

أمرنا بصرامة : أخرجا من مكتبى يا خونة .

"نوره"

فى يوم غير معلوم هبط ملاك من السماء على روحى ، جاء بها أحد أصدقائى لتنظف المكتب ، قال وهو يضحك : بتعمل كل حاجة يا باشا ، ونظر ناحيتها وقال : أوعى يا بت لحاجة الأستاذ ، المكتب زى الجامع ، الأمانة أهم حاجة عنده .

تركنا فى مواجهة بعضنا البعض وخرج للشارع ، قلت لها : إسمك أيه؟

– قالت : "نوره" .

– قلت : عندك كام سنة؟

– قالت : أنت هتتجوزنى ، فين الممسحة والمقشة علشان أنظف ؟

أشرت لها على مكان المطبخ والحمام وذهبت لغرفتى بعد أن ألقيت بعض التعليمات ، لا ترفعى الملفات من مكانها ، نظفى التراب دون أن تلمسى كتب المكتبة ، أختتمت أوامرى بهدوء قائلاً : الشقة عندك ، لما تخلصى تنظيفها نادى على ، أغلقت باب حجرتى وانهمكت بالملفات أدون ملاحظاتى .

دقت باب الحجرة بعد ساعتين ، ونادت : أنا خلصت يا أستاذ.

كانت شبه عارية وقميصها الذى يغطى أجزاء جسمها مبلولاً بالماء والتراب ، نظرت فى عينى كأنها تغتصبنى ، قالت بعد أن اقتربت من مكتبى : أخرج بره لحد ما أنظف الحجرة من التراب والعنكبوت .

وقفت مندهشًا من تفتحها ونداها ، أمسكتنى من يدى وشدتنى للحجرة الأخرى بعد وضع حقيبتى على السجادة كمخدة وقالت : أستريح نصف ساعة ، لم تترك لى فرصة التعليق أو الرفض ، لأنها تركتنى وجسمها يهتز داخل القميص المبلول ببكارة واندهاش .

خلعت حذائى ومددت جسدى على السجادة وأنا مذهول من رائحة المكتب ، غفلت عينى وحلمت بمزارع وزهور رمان ، تحيطنى قنوات المياه ، وتجرى أمهات العجول حولي بحرية ، ايقظتني نوره وقالت : مالك عامل كده ليه؟ "سلطان" قالى على كل حاجة ، قالى أنك مجروح ومحروم من النسوان بعد موت مراتك.

أخلعتنى نظارتى ، وعرتنى ، مسحت جسدى بيدها ، انتفضت وعاد النبض لقلبى ، أخذتنى بحضنها محاولة أنعاش أنفاسى ، ظلت نصف ساعة تدلك جسدى وأعضائى ، حاولت العودة لمزارع الرمان، توقفت فجاءة وقالت: يا عينى دا أنت تعبان قوى ، أنا مش فاضية النهاردة ، أختى مستنيانى ، مابتتعشاش اللى مروح ، استأذنت للانصراف ، أعطيتها خمسون جنيهًا ، لبست ملابسها الداخلية بسرعة وأدخلت نفسها فى العباية السوداء الضيقة وقالت : موعدنا الخميس الجاى ، لو احتاجتنى فى وسط الأسبوع إبقى اتصل بـ "سلطان" .

جاءت وحدها يوم الخميس فى الساعة المتفق عليها ، قالت : يا أستاذ أنا همشى الساعة ثمانية النهاردة لحسن أختى جاى لها عريس ، لازم أكون فى البيت بدرى ، واستطردت : أنت زى ما أنت ولا إية ، طب تعالى ، فرشت ملاءة سرير أخرجتها من شنطتها ، وضعت عليها علبة كشرى وقالت : أنا عازماك يا عم النهاردة ، مكلتش طوال النهار وخفت أتأخر عليك ، قلت هيجيب معى علبة للأستاذ ، فتحت علبتها ووضعت الشطة والدقة ، قامت مسرعة للمطبخ ، أحضرت زجاجة مياه وقالت : كل بالهناء والشفا مش هاعيرك يا عم ، متخفش ، حدثتني عن أختها التى أدخلتها الجامعة ، قصت بسرعة رحلتها بعد طردهم من بيت الأب ، وقالت: رضخ لأوامر زوجته الجديدة ، كانت قوية ولا تخاف أحد ، غابت دقائق وعادت قائلة : للأمانة لسه بيتصل بينا فى الأعياد والمواسم ، برده ده أب مهما كان ، بس هى ظروفه كده .

قامت مسرعة تلملم بقايا الأكل ، غسلت نفسها بسرعة ، خلعت ملابسها ، دخلت الحجرات الثلاثة والمطبخ والحمام فى غيبة منى وهى تتحدث فى أمور كثيرة ، أزاحت التراب عن الكتب ومسحت البلاط وعادت لحجرتى بقميصها الفضى ، جلست بجوارى على الكنبة وقالت : إحنا هنقعد هنا النهاردة أحسن ما الأرض ، شكلك مش واخذ على البهدلة ، أخلعتنى الكرافتة بصعوبة بالغة ، فكت أزرار القميص وهى تتحدث عن "سلطان" واستغلاله ، قالت بعطف : بيأخذ نصف الأجرة ، بدعوى أنه سبب معرفتى بالزبائن .

تمكنت هذه المرة من القذف بفعل إصرارها على إثارة شوقى لرائحة زوجتى ، انتصرت على جمودى وشعرت بالبهجة تنتشر فى دمى .

قامت لتغتسل ، وأخذت عرقها وحقها بعد أن رفعت الأجرة لسبعين جنيهاً كأجر أضافى لـ "سلطان" .

خرجت مسرعة من الباب ، قالت بقوة عاملة في مزرعة : موعدنا الخميس الجاى ، لو احتاجتنى قبل المعاد إتصل بـ "سلطان" .

## "بيت السر"

من ولد فى هذا الحيّ لا يمكن أن ينسى روائح الحب المنطلقة من عيون "نوال" و"صباح" ، من راقب ناصية الشوارع ليصل لحارة "أم نوال" ليسمع صوتها وهى تناديه للدخول ، لا يمكن أن يعيش الباقى من العمر دون أن تمس روحه تلك الرائحة التى تفوح من منزلهن رغم اختلاف الليل والنهار والصيف والشتاء ومهن الناس التى تزورهن لتعاشرهن وتتظلل بدفئهن .

من عاش هنا يعرف أن هذه القوة الممزوجة بالعشق أفرزت رحيق لا يمكن أبدًا نسيانه ، مجرد سرد حكايتهن على المقاهى بالميادين يعيد الذاكرة لتمتلئ سماء الحيّ بعطر النوال والصباح فيسكر المتحدثين والسامعين ، ينطقوا دون أن يدروا أجمل الكلمات التى تدلل على أن هؤلاء النساء اللاتى يفتخر الحيّ بوجودهن هن مصدر الحياة وسر المتعة التى هى رغبة كل مخلوق فينا .

حينما هجت "بثينة" من أهلها بالصعيد ، كانت كالثمرة النضرة التى رفضت قريتها أن تنضج فيها ، طاردها ظلامهم حتى وجدت نفسها بوسط المدينة تبحث عن الرزق والحبّ ، قابلت "حسنى" المزين الذى ملأ حياتها امتنان ، كان يعشق بحة صوتها ، كلما شاهدها بالمنزل برك عليها ، حتى أنجبت "صباح" و"نوال" أجمل بنات الأرض فى بطن واحدة ، عاشوا الثلاثة فى كنف "حسنى" المزين يلفهم حبه ، وكأن الحياة لم تخلق إلا ليستمتعوا بهوائها المنعش .

فى ليلة غابرة هاجرت روح "حسنى" إلى ربها ، ترك "بثينة" وابنتاها وعمرهما لا يتجاوز الخامسة عشر ، أُغلقن المحل وانمحي الدخل ، ولم يعد لديهم بالمنزل طعام أو شراب ، غاصت نظرات رجال ونساء الحيّ فى أجسادهن لتلتهمهن ، ولم يعد هناك جار يؤتمن ، واقتحمت عيون العواجيز قلوبهن لتشاركهن المتعة التى كانت تشع من بيتهم بحياة "حسنى" المزين .

لم تفهم الأم وبناتها سر احتياج الحيّ للمتعة بهذا القدر الجامح ، لم يعتقدن أبدًا بأن أجسادهن الناضرة وبهجتهن يمكن أن تؤدى إلى كل هذه السعادة فى وجوه الرجال الذين دأبوا على زيارتهن للاستمتاع برائحة عرق ملابسهن الداخلية .

مرت الأيام وتكررت زيارات الحيّ وانتشر كلام الناس حول سمعتهن ، أصبح الهواء يخنقهن بعد طمع الجميع فى أجسادهن ، رحلت "بثينة" وابنتاها مرة ثانية ، ولكن إلى حيّ جديد

على أطراف المدينة ليقطنوا منزل صغير ذو طوابق ثلاثة اشترته "بثينة" من بيع عرق ابنتيها الجميلتين ، عاشت كلاً منهن بحجرتين وصالة وحمام ومطبخ بدور مستقل ، شعرن من جديد بالأمان ، لم تفاجأ "بثينة" بإطلاق الجميع على منزلها الجديد "بيت السر" ، كانت تعرف أن هذا الاسم يعنى السب والأزدراء ، لكنها لم تتراجع عن عملها فى نشر البهجة والمتعة بين المريدين ، كان يكفيها أن تشاهد وجوههم الممتعضة الخائفة عند دخولهم لتكتشف السر وهم يهمون بالرحيل بعد لقاء العصافير ، تحس بأرواحهم المتطهرة وتحول روحهم لملائكة تبهج باقى الكائنات ، كانت تحس براحة البال حين يقول الزائر مغادرًا : عايزة حاجة يا أم "نوال"؟ كانت تفهم السر الذى يحول الحزن للسعادة ، واليأس للأمل .

تعلم دورها وهى تدلك جسد الزائر بأناملها ، فتمر بكفيها الرقيقتين على صدره وبطنه وظهره ورقبته وعينه وقدمه ويديه فترتخى أعضاؤه المختلة ، تطبطب على ظهره وكتفه ورأسه ، تأخذه فى حضنها ، يقذف بفرجها ليلقى الروث فى قلبها وتتطهر روحه ، تقوم لتغتسل من الكره والحقد وتعود ، تجد الزائر يلبس ملابسه ويضع الجنيهات فى يديها أو تحت المخدة وهو سعيد منتشى كأنه الملك المتوج بالحبّ ، ويخرج مغادرا وهو يقول: عايزة حاجة يا أم "نوال"؟

حجرة "صباح" بالدور الثالث تضئ باللمبة الحمراء فى معظم الأيام ، تضع إيشاربها الأصفر على حبل الغسيل لتعلن قيامها بعملية تطهير أرواح البشر .

كنا أطفالاً صغار ونستمتع بمجرد النظر لإيشارب "صباح" ونور حجرتها ونتمنى أن نكبر لنزورها ونشاهد بأنفسنا ما تقوم به لتجعل البشر ملائكة ، رقة صوتها ووجهها المشرق النضر يجعل جميع الزائرين يتساءلون "من أين لك بكل هذه النضارة يا صباح؟" فترد بدلال وخفة : "من عند الله الجميل" .

لكن "نوال" الفاجرة لم تتوان عن سب الدين لكل من يتجرأ ويدخل المساحة المملوءة عشق حولها ، تعيش بالدور الثانى ولم تغلق شباك حجرتها الذى نشر أصوات العاشقين بقوة وسط ذهول المارة والجيران ، وصف عشاقها أعضاء امرأة مكتملة فعرف الكل مفاتنها والعاشق ينعتها بالفاجرة ، لم ندرِ لماذا لم تهتم ولو مرة واحدة أن تغلق شباك حجرتها المطل على الشارع لتدارى صراخ المبتهلين ، تقول للزائرين : أن أشعة السماء التى تدخل شباك حجرتى المفتوح تساعدنى على تطهير أرواحكم من الحقد ووضع المتعة والسعادة مكانهما ، أن الملائكة يتفرجون على قوتى ويحفزونى لأبدع أجمل المعانى والروائح التى تزيح قذارتكم لتحسوا بالنور ، تنهى حديثها لكل سائل بدلال قائلة : أفتح شباكى لتعلننى الملائكة أميرة للحبّ.

تلبس القمصان القصيرة بحملات الكتف الرقيقة فيظهر ثدييها كاملين ، تستمتع بإخفاء بطنها وحلمات ثديها بقميصها الأحمر ، فيقوم العاشق بنفسه بتعريتها متحسسًا قماش القميص ولونه ، تعلم أن السر في أن يتعلم الزائر كيفية تحرير مفاتنها بنفسه ، إنها المتعة التي تقدمها لزائريها ولنفسها ، لكنها أبدًا لم تفهم رغم الرحيق الذي تقدمه لعشاقها ليبتهجوا إطلاقهم على منزلهم "بيت السر" وتندهش حين كانت تسمع سرًا وهي تسير بالسوق من يشير عليها وينعتها بالشرموطة .

ينطق بعض الرجال والنساء بالحيّ الكلمة كأنها سباب ، رغم أنهم كانوا يستمتعون بحجرتها وهم يقولون بحب وعيونهم مبهورة بمفاتن امرأة حرروا بأنفسهم رائحتها وأخلعوها ملابسها برقة : يا شرموطة .

تساءلت "نوال" كثيرًا دون أن تهتم بالإجابة : ما الفرق بين نبرة صوت الحاقدين وعذوبة صوت العاشقين رغم أنها نفس الكلمة التي يطلقونها حين تأتي عيونهم بعيوني؟!!

مر الزمن وكبر الأطفال ووقعت أحداث كثيرة في هذا البقعة وتغيرت الدنيا ومع ذلك ظل "بيت السر" يحافظ على المتعة والبهجة التي يقدمها للجميع ، عبثًا فشلت محاولات "عادل الجن" و"محمد حطية" و"زكريا المقطوع" في إقناع "بثينة" و"نوال" و"صباح" بالزواج ، كانوا يخافون من غدر الدنيا التي حرمتهن البيت وحنية الأب والزوج وأخذت "حسني" الحلاق منهن دون علامات ، يقولون لكل الخطاب الطامعين في ما يمتلكون : أنها رائحتنا التي جمعناها بعرقنا ، لن نفرط فيها لأحد.

## "الميدان "

يا عباد الله ، وحدوا الله ، كان ياما كان فى بلدة بعيدة تسمى "الأصل" يعيش بشر مثلنا ، لكن قلوبهم كالريحان ، كانت منازل هؤلاء البشر تتوسط قلب البلدة ومع ذلك عُزل أهلها عن السكان ، فى هذه البقعة التى تتوسط الميدان تختلط النساء بالرجال وتعاشر بعضهن البعض دون أن تجد أحد منهم يحس أنه خدش حياء الآخر .

هؤلاء البشر يبيعون الخضر والفاكهة بالشوارع أو يعمل بعضهم فى دكاكين وورش المدينة القريبة ويمتلك آخرون عربات كارو يجرها أحصنة بيضاء وحمير وبغال بألوان مختلفة ، رجالها مفتخرين دائما بأنفسهم رغم أنهم لا يمتلكون الوظائف الحكومية أو الأرض ، تزينت نساءهم بالحلى فى صدورهن وبأيديهن وأقدامهن وتدلت من آذانهن أزهى روائح الأقراط التى جعلت وجوههن كحوريات الجنة ، لبست فتياتهن الملابس الخفيفة ذات الألوان الفاتحة التى تظهر أجسادهن الرقيقة كملائكة .

ينطلقون فى الحياة ويصرخون فى وجوه بعضهم دون خشى ، يجرحون جبين وأكتاف وخدود الرجال والنساء بالسكاكين والمطاوى دون رأفة ، لكن قلوبهم الرقيقة الممتلئة بالحبّ تجعلهم يأكلون مع بعضهم أمام منازلهم المملوءة عشق دون أن يتذكر أحد سبب العركة ، تندهش من بشر لا يملكون شيء ومع ذلك يعيشون كملوك ، يأكلون بنهم وحبّ ويعاشرون النساء العاريات بشبق ، وتنطلق بناتهن فى الشارع دون ملابس تخفى مفاتنهن فيتوحد الجميع بالأمل المدفوع باستكمال الحياة .

يا خلق الله ، زى ما كون فى حلم ، لقيت نفسى مرة واحدة عايش فى وسطهم ، مسألونيش أنت مين ولا بتعمل أية ، كأن وجود غريب بينهم أمر طبيعى؟ رحبت "زوبة" بوجودى دون أن تنطق ، تعامل الجميع معى كأخ ولد معهم على ظهر عربة كارو فى يوم برد قارس ، سقتنى الأم الحنان من صدرها الحليب دون أن تكتب شهادة لميلادى لأنها لم تعرف بالضبط أى من رجال البقعة يمكنه تحمل مسئوليتى!!

عشت وسطهم قول خمس سنين ، يمكن عشرة ، يمكن عمرى اللى عشته كله معرفش ، كل يوم حكايات وأحداث يتشارك فيها الجميع ، نساء كثيرة تعاشرهن ورجال طيبين تعاملهن ، المهم أن الجميع يعمل أو ينام ، يتشاجر أو يتصاحب ، يرحل أم يستمر يوافق دائمًا على قانون الحبّ الذى جمعهم وجعلهم يعيشون كأحرار وسط بلدة تؤمن بالنظام والزواج والميراث وتحترم الأواصر والدم وتضع لكل فرد مرتبه داخل البيوت لا يستطيع أن يتجاوزها!

عشت يا سامعين بروحى فى الفصول المختلفة دون تذكر أسمى ، لكن "زوبة" رغم السنين والعشرة كانت تتحير فى أمرى وتذكرنى دائمًا بموعدى ، كنت اسألها ببلاهة وثقة كانت تعلمها : أى موعد ؟ فتقول لى : أنت تعلم !! وتنطلق تاركة لمفاتنها العنان ، أسير وراءها للعشة القبلية التى يلعب الأطفال أمامها ، تفعصنى تحتها وفوقها كأنها المارد الأفريقى المأخوذ بالحب ، تتركنى دون أن تنطق بعد أن تلبس جلابيته الخفيفة ، تخرج من العشة تستقبل هواء الليل المنعش ، لتهتز الأرض تحت قدميها ، واتجه مسرعًا لميدان البقعة الذى يتسامر فيها الجميع بعشق .

ويا حاضرين قولوا للغايبين بأننى نمت معهم فى الميدان الذى يتوسط منازلهم بدون عمل سنينًا طويلة بجوار رجل عجوز يسمى "فرماوى" ، قال لى فى صباح يوم لا أتذكره حين صحا من النوم وهو يجاورنى : يا فقرى طول الليل بتخبط فى ظهرى زى ما يكون ركبك عفريت .

لم أرد ، فأستكمل بثقة : إنزل معى النهاردة الورشة وأنت تهدى .

قلت : ماذا تعمل؟

قال : أصنع الباستلات والأطباق وسخانات الشاى والمصافى .

قمنا وذهبنا للورشة ، كان أول شىء تعلمته منه هو الشجاعة ، قال : الخوف لم يصنع رجال.

حين وجدنى وحيدًا وتمتلئ روحى بالغبار ، شدنى من شعرى ، وضع رأسى تحت حوض الترنبة ، غسل رأسى ووجهى ، مسحنى بجلبابه ، انبهر بروحى البرية ، أزال خوف البلدة القديمة من قلبى ، وقال : أنت الأمين هنا ، لن تكذب مرة ثانية أبدًا .

حل الليل علينا فأغلق دكانه وأقتسم ما كسبه معى ، وقال : إتعش كويس وبعدين تعال نام جنبى أوعى من "زوبة" رنت الكلمة فى أذنى لأنه نطقها بلوع وفهمت أنها المرأة التى تفترس الرجال .

ملأت بطنى من الدكان الوحيد بميدان البقعة ببقايا الكرشة ولحوم رؤوس الجواميس والأبقار والماعز ، عند خروجى من باب الدكان شاهدت امرأة مكتملة أمامى ، بهرتنى عيونها ورقة يديها حين وضعتهم بيدى وقالت : أنت مين؟

لم أرد ، فقالت : أنت "سعيد" إلا تتذكرنى يا فقرى ، بقى لما تتظف تتسانى .

لم أرد عليها ، سحبتنى دون أن تمسك يدى لعشة بعيدة فى آخر الميدان يلعب الأطفال أمامها العسكر والحرامية وقالت : فى البقعة لا ألقاب ولا صوت يعلو على صوت "زوبة" .

أخلعتنى ملابسى كاملة ، أمسكت كل عضو فى جسمى وقالت : سأطهرك الليلة وأنظف دمك ، سخنت المياه بالبستلة على الباجور ، خلعت ملابسها أمامى بهدوء ، أجلستنى بطشت الغسيل ، دعكت جسدى بليف النخل حتى وصلت للجلد الذى ولدت به ، شعت عيونها نور إضافى خلاف النور الساطع من جسدها البض ، امتلأت الحجرة عن أخرها بالوهج ، لفتنى بملاية بيضاء ، أجلستنى على الحصير المفروش على الأرض ، تحسست جسدى كله ، بدأت من عيونى وأنفى وصدرى وذراعى وأصابع قدمى وظهرى ومؤخرتى حتى وصلت إلى قضيبى فتلمسته ، أقشعر بدنى ، فقالت : تطهر يا ملاك الحبّ .

زادت القشعريرة حتى انتفضت من تحتها ، أخذتنى فى حضنها وقالت : أنت حر الأن ، لن يلمس روحك الشيطان ، طالما أنت هنا .

عاد الدفء إلى قلبى أحسست بروعتها وملمس لسانها على جسدى الذى أزالت عنه كل القيود وولدت من جديد بين يديها كأنى طفل رضيع .

ويا سامعين قولى للغايبين عشت بالبقعة سنينًا لا يعلمها أحد ، أعمل بدكان "فرماوى" وأنام بالميدان ، تزورنى النساء والبنات حين تغيب "زوبة" عن البقعة القابعة وسط البلدة التى يتحدد فيها كل شيء حتى الرزق ، لكن "زوبة" لم تغفل عن متابعة علاقاتى بصمت ، كانت تأخذنى السكينة كل فترة كالمذهول ، أنام بالأسابيع صامتًا بدكان "فرماوى" .

حين علمت "زوبة" بمرضى ، أخذتنى للعشة بأخر الميدان ، وأضاءت روحى وجسدى بالحبّ ، تيقنت أنها الوحيدة التى يمكنها علاجى وشفائى ، انبهرت بملمس شفتاها الرقيقتان وهى تضعهم بين لسانى ، وأعلن أنها المرأة الوحيدة على ظهر الأرض التى تملك السر .

تغادر العشة قائلة : ألم يحن الموعد .

فأقول ببلاهة : أى موعد؟ فتقول : أنت تعرفه .

أعود لدكان "فرماوى" فى الصباح بعد شفائى ، أملأ بطنى بما تطيب به السماء ، أعاشر ما أرزق من النساء والبنات التى أصبحنا بحكم الليالى الكثيرة التى قضيناها أخوة ، كان همنا هو إبداع أوضاعًا مختلفة عن الأوضاع القديمة لنعلن فى دهشة وقوة نوع الحياة الجديدة ، لكن الجميع لا ينس روح "زوبة" المرعبة المتوحشة التى طارت فى ليلة اكتمال القمر الشهر الماضى مع "مرعى" العربجى فوقنا وهم عرايا ، ظلوا يتعاشرون ويشتمون بعضهم بأقذع الشتائم ، كنا نشاركهم السب واللعن والتصفيق وكأنهم فى معركة الحب الأبدى الذى يرغب كل منهما الإعلان بقوة بأنه المنتصر فى معركة الإنسانية .

يا أحبابى يا أولياء الله الصالحين ، لا أطيل عليكم لقد دارت الأيام و"زوبة" تزداد جمالاً ونضارة و"فرماوى" يزداد شبابًا ، الطعام يتحول مذاقه لشهد ، رائحة العشق بالبقعة تفتح قلوب الميتين ليعودوا أحياء ، النساء تستمتع بمعاشرتهن للرجال بطريقة أعجزت فهم كل العالمين ، الرجال ازدادت فحولتهم وشجاعتهم لدرجة أنهم كانوا يعيشون الحياة دون ذاكرة .

لكن البلدة التى توجد بوسطها البقعة إزداد فيها الكره والحقد والطمع فأصر من قادوا مسيرتها فى هذا الزمن على قلع جذور البقعة من ميدان البلدة كى لا يبقى أثرًا للحبّ وقرروا فيما بينهم بعد أن تسلحوا بالعسكر والمجرمين ترحيلنا وهدم منازلنا .

كانت البقعة أمل الحالمين بالانتصار والعشق ، ذاع صيتها فى كل الأماكن ، أنزل الله الرعب بقلوب المجرمين ، قال كبيرهم فى اجتماعهم السرى : هذه الأرواح المبهجة يمكنها الهيام بقلوب الناس خارج الميدان فيزيلوا الحزن ، اتفق بغدر على ازالة أى أثر لبهجة "زوبة" وعشق "فرماوى"، وقرروا دفن رائحة الحياة.

فى ليلة مقمرة فوجئنا ونحن نيام ببلدوزرات الحىّ التى تذكرت مكاننا ورائحتنا فجأة بعد أن هالها ما سمعته من حكايات عشقنا ، أحاطت مع المتوحشين بيوت البقعة المعدودة المبنية بالطوب اللبن وقماش متين وأكياس بلاستيكية حمتنا من بطش الكلاب ومطر الشتاء فى الزمن الغابر ، لم يوقف بلدوزرات الحىّ صراخ الأحصنة والحمير والبغال والكلاب والقطط النائمين والنساء المبدعات والرجال الشجعان والأطفال والفتيات البكر ، دهسوا مداخل البيوت والخيام فصحا الجميع مفزوعين ، تسلحوا بالسكاكين وقرروا مقاومة الكره دون اتفاق ، لم يكن عددنا كبير ، لم تكن المعركة متكافئة ، لكننى ذهلت من الدماء التى سالت من جبين الرجال وشعور النساء ، رغم ذلك لم يتوقفوا عن المقاومة.

خرج الأطفال عرايا يمسكون الشماريخ ليوقفوا زحف البلدزورات ، كانوا جبابرة هؤلاء الناس الذين عاشوا الحياة دون ذاكرة ، لم يجرؤ أحد رغم أنهم العرايا أن يخدش حريتهم .

حين شاهدتنى "زوبة" وهى تمسك سكينًا كبيرًا قالت بسخرية : متى موعدك؟

قلت ببلاهة وثقة : أية موعد!!

تركتنى ساخرة منطلقة نحو العساكر والمجرمين بسيفها المرعب لوقف تقدمهم ، ووجدت نفسى دون أن أدرى يا سامعين أمسك ساطورًا كبيرًا وأجرى وراءها لأحميها من بطش البلدوزرات ، تقدمت بالميدان أمام النساء والبنات والأطفال والرجال مملوءًا قوة ، كأننى ولدت من جديد ، لم يكن يغطى لحمى عظام ، عادت روحى التى ولدت بها ، لم يكن لصرخاتى حدودا ، اندمجت فى مقاومة البلدوزرات ، صرخت "زوبة" بجوارى فى العساكر واللصوص : أهربوا بجلدكم سوف نقتلكم جميعًا دون رحمة .

ردد جميع سكان البقعة وراءها : سوف نقتلكم جميعًا دون رحمة .

خرج صراخهم مدويًا أصاب العسكر بالهلع ، نظر العسكر لبعضهم البعض بعد هروب اللصوص ، أيقنوا بأن أبناء البقعة سينفذون وعدهم ، تراجعوا أمام تقدمنا ، ترجعوا بضعف أمام صراختنا التى مدتنا بنور الشمس ، اندهشنا بالنصر .. ففروا العساكر المدججين بالبلدوزرات والدبابات عن بكرة أبيهم وتركوا أسلحتهم لصبية الميدان الذين تعلموا فنون القتال فى غمضة عين .

حضنتنى "زوبة" وقالت بثقة : أنت عدت الآن ، أصبحت منا ، تستحق الحياة معنا ، أطلق سهامك ليعم الأمان وتملأ والبهجة القلوب .

وأخيرًا فهمت تساؤلها المبهم خلال الأيام والسنين الطويلة ... أخيرًا فهمت ، وتذكرت يا أحباب رسول الله رائحة رحيقكم المذهل وأنا أحكى لكم بفخر موقعة الميدان .

**الوراق**

**مارس ٢٠١١**

Smell of Femininity

رائحة الأنوثة

كرم صابر

مجموعة قصصية

cover by Amal Khefajee

أروقة

L C S S M H V , R M